حديث الشعراء عن الجارة حتى العصر العبَّاسي

(دراسة بلاغية نقدية)

إعداد الدكتور

ياسر عبد الحميد حسين عرقوب

أستاذ البلاغة والنقد المساعد في جامعة الأزهر،

المشارك في جامعة تبوك

yasser.arqoup@yahoo.com

عنوان البحث	**حديث الشعراء عن الجارة حتى العصر العبَّاسي (دراسة بلاغية نقدية)**
اسم الباحث	**ياسر عبد الحميد حسين عرقوب**
الإيميل	yasser.arqoup@yahoo.com
الكلمات المفتاحية	حديث الشعراء – الجارة – العصر العباسي– فخر – مدح– رثاء– هجاء
التوصيف الوظيفي	**أستاذ البلاغة والنقد المساعد في جامعة الأزهر، المشارك في جامعة تبوك**

ملخص البحث

تقوم هذه الدراسة على تتبع الشواهد الشعرية التي تحدثت عن الجارة من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، ودراستها دراسة بلاغية تبرز جمالها، وتكشف عن دواعيها وبلاغتها من خلال ما ورد في أشعار تلك الفترة.

وقد استعرضَت الدراسة حديث الشعراء عن الجارة في سياقاته المختلفة، وجمع الشواهد متشابهة الغرض تحت عنوان يجمعها، ودراستها دراسة بلاغية مفصَّلة، مبينة ما فيها من محاسن ومآخذ.

وتم تصنيف تلك الشواهد حسب الغرض الأدبي من فخر ومدح ورثاء وهجاء، وذلك بعد إبراز دوافع الشعراء لحماية الجارة، وبيان مدى ملاءمة الحديث عنها للغرض الذي ورد فيه، وأثره على المعنى؛ ليدرك القارئ الكريم جمال هذا الخلق الأصيل عند العرب في الجاهلية، ثم في الإسلام، وبيان ما يضفيه على المعنى من قوة سواء أكان المقام فخرا أم مدحا أم رثاء أم ذما.

الكلمات المفتاحية:

حديث الشعراء – الجارة – العصر العباسي– فخر – مدح– رثاء– هجاء

Research Summary

Poets talk about the neighbor until the Abbasid era (Critical rhetoric study)

Yasser Abdel Hamid Hussein Arqoub
Professor of Rhetoric and Assistant Criticism at Al-Azhar University,
Participant in the University of Tabuk
yasser.arqoup@yahoo.com

This study is based on tracking poetic evidence that talked about the neighbor from the pre-Islamic era to the Abbasid era, and study rhetorical study highlighting its beauty, and reveal its reasons and eloquence through what is mentioned in the poems of that period.

The study reviewed the poets' talk about the neighbor in its various contexts.

These were classified according to the moral purpose of pride and praise and lamentation and satire, after highlighting the motives of the poets to protect the neighbor, and indicate the relevance of the talk about the purpose in which it was stated, and its impact on meaning; And the statement of what it gives the meaning of the power, whether the pride or praise or lament or defamation.

key words:
The hadith of poets - the neighbor - the Abbasid era - pride - praise - lament - satire

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد اشتهر العرب قبل الإسلام بأخلاق حميدة كثيرة، كالوفاء بالوعد وإكرام الضيف وإغاثة الملهوف وغير ذلك من الأخلاق الطيبة، ولما جاء الإسلام بارك هذه الأخلاق فيهم وحمِدها لهم وأتمها وهذبها.

ومن أهم وأشهر خلالهم التي تفاخروا وتمدحوا بها: المحافظة على الجار وحمايته والذود عنه وعن كل ما يخصه، لا سيما أخص خصائصه وهو عِرضُه المتمثل في زوجته وبناته وأخواته، وسائر حرماته.

لقد بلغ من مكارم أخلاقهم قبل الإسلام أن كانوا يغضون الطرف والسمع عن الجارة؛ حماية لعرضها أن يُخدش ومحافظة على سرها أن يُذاع، حتى لقد أنزلوها منزلا عظيما فأقاموها مقام الأم والأخت تكريما وإجلالا؛ قبل أن يشرع في الإسلام غض البصر!

وقد تغنَّى الشعراء على مرِّ العصور بحماية الجارة، وعدم التطلع إليها وكشف سترها، وكانوا يعدون ذلك حقا أصيلا للجار على جاره، ومظهرا مهما من مظاهر السيادة والريادة والنبل والشهامة، كما كان في الوقت نفسه سببا للمذمَّة والعيب والنقصان لمن بطَّأ به عمله ولم يُسرع به خُلُقه، فخالف تلك المكارم، وقصر في تلك الحقوق.

فكان هذا الخلق الكريم رافدا من روافد الفخر عندهم، ومظهرا من مظاهر التباهي، مثلما كان مظهرا من مظاهر المدح أو الذم.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد وإنما بلغت درجة تعظيمهم لحق الجارة أنهم كانوا يحمون جارة من يعرفون أو يصادقون؛ وكأن مجرد معرفتهم لشخص يفرض عليهم حقا ألا يتعرضوا لجارته؛ مما يشعر بأنهم كانوا يعتبرون الجارة من حرمات الإنسان يجب عليه حمايتها مثلما يجب عليه حماية زوجه وأولاده.

ومع أن حديث الشعراء عن الجار عامة كان حديثا مستفيضا، يفتخرون بحمايته والذود عنه والتباهي بمراعاة حقوقه، إلا أن الحديث عن الجارة في أشعارهم ورد مقتضبا في ثنايا حديثهم عن الجار، لا يتعدى في الغالب شطر بيت أو بيتا كاملا، ونادرا ما يكون أكثر من ذلك؛ وربما ألجأهم إلى هذا الإقلال حياؤهم الذي رافق الحديث عن هذا الحق.

لقد كان حديثهم عن الجارة مغلفا بقدر من الحياء، حتى تلاشى هذا الحديث أو كاد بعد أن حلَّت أخلاق الإسلام محل هذه القيم النبيلة، وصار ذلك معلوما من الدين بالضرورة؛ مما دعاني إلى إبراز تلك الصورة النبيلة ودراسة هذه الظاهرة العظيمة تحت عنوان: "حديث الشعراء عن الجارة حتى العصر العبَّاسي (دراسة بلاغية نقدية) ".

واخترت هذه الفترة مجالا للدراسة لتركز الحديث عن حقوق الجارة فيها؛ حيث جاء معظمه في أشعار الجاهليين، وامتد حتى العصر الأموي ثم ندر في العصر العباسي، وبدأ في الاختفاء بعد ذلك؛ نظرا لما أسلفت من أنه أصبح من ثوابت الدين الإسلامي، ولم يعد لمجرد التفاخر والتباهي.

جدير بالذكر أني وجدت دراسة بعنوان" الجارة في الشعر العربي القديم" للدكتور/ مرزوق بن صنيتان بن تنباك[١]، وهي دراسة أدبية موجزة تقوم على جمع الشواهد التي تحدثت عن الجارة ودراستها دراسة أدبية، وقد أفدت منها في جمع الشواهد الشعرية المتعلقة بهذا الموضوع، وزدت عليها بعض الشواهد التي ربما غابت عن الباحث، كما أن هناك دراسة للباحث السابق نفسه بعنوان" الجوار في الشعر العربي حتى العصر الأموي"[٢]، وهي دراسة أدبية أيضا

١ – هو بحث منشور في مجلة كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المجلد الثالث/ العدد الثاني، عام ١٩٩١م.

٢ – بحث منشور بحولية كلية الآداب – جامعة الكويت، العدد الحادي عشر، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

تقوم على تتبع دواوين الشعراء في هذه الفترة، ورصد حديثهم عن الجار عموما، ودراسته دراسة أدبية، ولم تتعرض هذه الدراسة للجارة من قريب أو بعيد؛ نظرا لأن الباحث خصَّص لها البحث المذكور آنفا.

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، فقمت بجمع الشواهد التي تحدثت عن الجارة في هذه الفترة، ثم وضعت كل شاهد منها تحت غرض معين، ثم قمت بتحليل هذه الشواهد تحليلا بلاغيا يكشف روعتها وأسرار جمالها، وبيان مدى ملاءمتها للمقام الذي وردت فيه، وأثرها على المعنى.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وتضمنت الحديث عن أهمية الموضوع، وبواعث اختياره، ومنهج السير في دراسته.

التمهيد: وجاء حول معنى الجوار ومكانة الجارة.

المبحث الأول: بلاغة الشعراء في إبراز دوافع حمايتهم للجارة.

المبحث الثاني: بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق الفخر.

المبحث الثالث: بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق المدح والرثاء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق المدح.

المطلب الثاني: بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق الرثاء.

المبحث الرابع: بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق الهجاء.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة.

والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

الباحث: د/ ياسر عبد الحميد عرقوب
الأستاذ المساعد في جامعة الأزهر (المشارك في جامعة تبوك).

تمهيد

معنى الجوار ومكانة الجارة

يقول ابن منظور: الجوار: المجاورة والجار الذي يجاورك، وجاور الرجل مجاورة وجِوارا وجُوارا، والكسر أفصح، وجاور بني فلان وفيهم مجاورة وجوارا: تحرم بجوارهم، وجارك: الذي يجاورك، والجمع أجوار وجيرة وجيران، وتجاوروا واجتوروا بمعنى واحد: جاور بعضهم بعضا. [١].

والْجارُ: المُجَاوِرُ، والجار: هُوَ الَّذِي يُجَاوِرُك بَيْتَ بَيْتَ. والجَارُ النَّفِيحُ هُوَ الغَرِيبُ، والجَارُ: الَّذِي أَجَرْتَه مِن أَن يُظْلَمَ . والجَوَارُ من الدّار: طَوَارُهَا، وَهُوَ مَا كَانَ على حَدِّهَا وبحِذائِها، والجِوَارُ بِالْكَسْرِ: أَن تُعْطِيَ الرَّجلَ ذِمَّةً وعَهْداً فيكونَ بهَا جارَكَ، فتُجيرَه وتُؤَمِّنه، وَهُوَ مِن المُجَاوَرة: المُساكَنة، والاِسمُ الجِوَارُ والجُوَارُ [٢].

والْجار الشَّرِيك فِي العَقار لم يُقاسم وَالْجَار: المُقاسم، والْجار: الحليف. وَالْجَار: النَّاصِر، وَالْجَار: الشَّرِيكُ فِي التِّجارة[٣].

قال الحافظ ابن حجر: واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار والقريب والأجنبي والأقرب دارا والأبعد، وله مراتب أعلى من بعض[٤].

---

١ - لسان العرب لابن منظور- جور- (٤/ ١٥٣) نشر/ دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٢ - تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، ت/ مجموعة من المحققين- جور- (١٠/ ٤٨٤)، نشر/ دار الهداية.

٣ - تهذيب اللغة للهروي، ت/ محمد عوض مرعب- باب الجيم والراء- ١١/ ١٢٠،نشر/ دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ترقيم/ محمد فؤاد عبد الباقي، ١٠/ ٤٤١، نشر/ دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

فالمادة تدور حول القرب الحسي والمعنوي، وتحمل معاني الحماية والنصرة والأمان والسكن والمنعة.

ويعد الجوار من أقوى مظاهر الاتحاد والتقارب بين الأفراد منذ القدم، ولذلك كانت له قوانين وإن لم تكن مكتوبة لكنها أقوى من المكتوبة، وكانت هذه القوانين معروفة وثابتة في العصر الجاهلي، وجاء الإسلام فأقرَّ هذه القوانين وزادها ثباتا وقوة، وبدا ذلك واضحا في الكتاب الكريم، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

وفي السنة النبوية المطهرة أيضا فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[1]، وما ورد عن مُحَمَّد بْن سَعْدٍ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ظَبْيَةَ الْكَلاعِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ يُحَدِّثُ، أَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَأَلَهُمْ عَنِ الزِّنَا فَقَالُوا: حَرَامٌ حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ: «**لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ**» قَالَ: وَسَأَلَهُمْ عَنِ السَّرِقَةِ فَقَالُوا: حَرَامٌ، حَرَّمَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ: «**لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشَرَةِ أَبْيَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ بَيْتِ جَارِهِ**»[2].

---

١ - أخرجه البخاري، كتاب الأدب- باب الوصاية بالجار، ح(٦٠١٥)، صحيح البخاري، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر/ دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ . وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب- باب الوصية بالجار والإحسان إليه ح(٢٦٢٤). صحيح مسلم، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢ - المعجم الكبير للطبراني، ت/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، ٢٠/ ٢٥٦، نشر/ مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢. وصححه الألباني.

وفي سير الصحابة والتابعين –رضي الله عنهم– وتابعيهم إلى يومنا هذا مواقف خالدة تدل على العناية بالجار وضرورة الإحسان إليه؛ مما يبرز مكانة الجار على مر العصور والأزمان.

ولما كان الجار بهذه المنزلة العظيمة، وكانت حمايته وحماية كل ما يتصل به واجبة على جاره، ومعلوم أن من أخص خصائص الجار حرماته من زوجة وابنة وأخت وأم، فقد نظر العرب إلى الجارة نظرة خاصة فأحاطوها بسياج من التحصين والحماية، وجعلوا الدفاع عنها وحمايتها دليل المروءة والشهامة، وعنوان الرجولة والكرامة.

وكانوا يُعلون منزلة الجارة فوق كل شيء ويرفعونها فوق كل أحد، حتى إنهم كانوا يجعلون الدفاع عنها والمحافظة على عرضها ديانة وعقيدة بخلاف غيرها كزوجة الصديق مثلا، فكانوا لا يتطلعون إليها حفاظا على حق الصداقة، وحرصا على عدم فجيعته، ومثال ذلك قول الأحوص الأنصاري[1]:

ثِنْتَانِ لَا أَدْنُو بِوَصْلِهِمَا * عِرْسُ الخَلِيلِ وَجَارَةُ الجَنْبِ**

أَمَّا الخَلِيلُ فَلَسْتُ فَاجِعَهُ * وَالجَارُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي[2].**

ويقول حاتم الطائي:

رُبَّ بَيْضَاءَ فَرْعُهَا يَتَثَنَّى * قَدْ دَعَتْنِي لِوَصْلِهَا فَأَبَيْتُ**

لَمْ يَكُنْ بِي تَحَرُّجٌ غَيْرَ أَنِّي * كُنْتُ خِدْنًا لِزَوْجِهَا فَاسْتَحَيْتُ[3].**

---

١ – الأحوص الأنصاري: هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، من بني ضبيعة، لقب بالأحوص لضيق في عينه، شاعر إسلامي أموي هجّاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر ونصيب، وكان معاصراً لجرير والفرزدق... وكان حماد الراوية يقدمه في النسيب على شعراء زمنه. معجم الشعراء العرب صـ٥١١، موقع الموسوعة الشعرية.

٢ – شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق د/ إبراهيم السامرائي، صـ٢٩، مكتبة الأندلس– بغداد، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٣ – ديوان حاتم الطائي، شرح/ يحيى بن مدرك الطائي، تقديم/ د/ حنا نصر الجتي، صـ٩٩، نشر/ دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

على الرغم من أنه القائل عن الجارة: "وَالله مَا خاتلت (خادعت) جَارة لي قطّ، وَلَا ائتمنت على أَمَانَة إِلَّا أديتها، وَلَا أُتِي أحد قطّ من قِبَلي بِسوء"[١].

وفرق بين من يكون البعد عنها ديانة وعقيدة، وبين من يكون البعد عنها خلقا وعادة.

فكانوا يعتبرون الجارة وما تملكه ضمن ذِمام الرجل يجب عليه حمايتها وحفظها، حتى إنه كانت تقوم الحروب وتُزهق الأرواح بسبب التعدي على الجارة، فقد كان العربي الأصيل يعد التعدي على الجارة تعديا عليه هو، وأن عليه رد هذا العدوان والذود عن كرامته، وأصدق دليل على ذلك نشوب الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب بسبب قتل كليب لناقة امرأة كانت جارة لجساس قد اعتدى عليها كليب وقتلها؛ فقتله جساس بسببها ونشبت الحرب بين القبيلتين أربعين سنة[٢].

وبلغ من تعظيمهم لحق الجارة أنهم كانوا كثيرا ما يطلقون على الزوجة اسم الجارة، وبعضهم كان ينزلها منزلة الأم تكريما لها كما سيتضح خلال البحث- إن شاء الله تعالى-.

كما كان حديثهم عن حماية جارة الممدوح طريقا يعبرون من خلاله إلى قلب الممدوح لنيل المزيد من عطاياه؛ لما يعرفون من قيمة المدح بهذه الصفة العظيمة، ومن ذلك قول بشار حين قدم على المهدي بالرُّصافة وكان قد مدحه قبلها بقصيدة فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل، وجعل له

---

١ - تاريخ دمشق لابن عساكر، ت/ عمرو بن غرامة العمروي: ١١/ ٣٧٧، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

٢ - ينظر: أمالي ابن الشجري، ت/د/ محمود محمد الطناحي، (١/ ١٧١/ ١٧٢)، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة،ط١ ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م.

وفادة في كلّ سنة، ونهاه عن التشبيب بالنساء البتّة، فقدم عليه في السنة الثانية فدخل عليه وأنشده قصيدة طويلة يقول في أوّلها[١]:

تجَالَلْتُ عَنْ فِهْرٍ وَعَنْ جَارَتَيْ فِهْرِ ** وَوَدَّعْتُ نُعْمَى بِالسَّلَامِ وِبِالبِشْرِ[٢]

إن الغيرة على حرمة الجارة وحمايتها خلق التزم به العرب في الجاهلية والإسلام، لأنها طبيعة الفطرة البشرية النقية، وسمة النفس الحرة الأبية، فاستقر هذا الخلق الكريم في نفوس الجاهليين الذي تذوقوا معاني تلك الفضائل، وتحلوا بها، فإذا هم يغارون على عِرض جيرانهم من هوى أنفسهم ذاتهم، ورددوا ذلك في أشعارهم، وجاء الإسلام فأقرَّهم عليه، وباركه لهم، فأصبح بجانب كونه دليل المروءة والكرامة في الجاهلية برهاناً لقوة الإيمان والالتزام بتعاليم الدين في الإسلام.

❁❁❁❁❁

١ - ينظر: كنز الدرر وجامع الغرر، لأبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، ت/ دوروتيا كرافولسكي، ٥/٩٥، نشر/ عيسى البابي الحلبي، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٢ - ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق/ السيد بدر الدين العلوي، صـ١٣١، نشر/ دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٩٨١م.

المبحث الأول

بلاغة الشعراء في إبراز دوافع حمايتهم للجارة

علَّل الشعراء حمايتهم للجارة ومحافظتهم عليها عدة تعليلات أشهرها وأكثرها دورانا في أشعارهم: أن التعدي على الجارة وهتك سترها حرام عليهم؛ ولذلك كان لزاما عليهم حمايتها، والذود عنها، ولا شك أن الأمر حين يتعلق بالحلال والحرام يحمل صاحبه على ضرورة الالتزام به، كما أنه يجعل هذا الأمر عقيدة للإنسان يتحتم عليه التمسك بها، ويحرم عليه التخلي عنها.

والعجيب أن الشعراء في الجاهلية عللوها بالحرمة قبل أن يكون لهم دين يردعهم ويبين لهم حرمتها؛ مما يؤكد أن حماية الجارة خلق يتوافق مع الفطرة السليمة التي جاء عليها الدين بعد ذلك، كما علَّلوها في بعض الأحيان بأن التطلع للجارة ومخادعتها خيانة تأباها النفس الأصيلة، وفي أحيان أخرى بأن حماية الجارة ميراث ورثوه عن آبائهم لا يمكنهم التخلي عنه.

وسأورد بعض الشواهد على هذه الدوافع من شعرهم على النحو الآتي:

الدافع الأول: الحرمة:

* جاء التعليل بحرمة الجارة كثيرا في أشعار القدماء، وأن حمايتها عقيدة وديانة ووصاية ربانية يجب الالتزام بها، وقد ورد هذا المعنى واضحا جليا عند الأعشى في قصيدة مطلعها:

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا ***وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ المُسَهَّدَا[1]

---

١ - ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق د/ محمد حسين صـ١٣٥،نشر مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، وتأبد: بَعُدَ عن النساء. وكان الأعشى قد أتى النّبي- صلى الله عليه وسلم- بمكة؛ ليسلم فاعترضه بعض كفار قريش فقال: إنه يحرّم الزنا، قال: لا أرب لي فيه، قال: إنه يحرّم الخمر. قال: أرجع فأتروى منها عامي هذا ثم آتيه فأسلم، فرجع فمات من عامه ولم يعد. شرح شواهد المغني (٢/ ٥٧٦)، و نهاية الأرب في فنون الأدب (١٨/ ٦٨).

وفيها يقول:

ولا تَقرَبَنَّ جارةً إن سِرَّها ** عليكَ حَرامٌ فانْكِحَنْ أو تَأَبَّدا

وَذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَى فَلَا تَقْطَعَنَّهُ ** لِعَاقِبَةٍ وَلَا الْأَسِيرَ الْمُقَيَّدَا

وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّةِ وَالضُّحَى ** وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاحْمَدَا[1]

والأبيات تتحدث عن أخلاق عربية كريمة كصلة الرحم وإكرام الأسير وغيرها، وما يهمنا هنا هو قوله:

ولا تَقرَبَنَّ جارةً إن سِرَّها * عليكَ حَرامٌ فانْكِحَنْ أو تَأَبَّدا**

والبيت يتحدث عن حرمة الجارة، وعدم التعرُّض لها إلا عن طريق الحلال(النكاح) أو الابتعاد عنها، وقد استعمل الشاعر من الألوان البلاغية ما يؤكد المعنى الذي أراده.

وأول ما يطالع المتلقي في البيت هو النهي (ولا تَقرَبَنَّ)، حيث ينهى نفسه وكل من يصلح له الخطاب بعدم الاقتراب من الجارة أو التعدي عليها إلا بحقها.

وأكد هذا النهي بعدة مؤكدات تبرز أهميته وضرورة الامتثال له، منها:

-التعبير بالقرب (لا تَقرَبَنَّ)، والنهي عن القرب من الفعل أبلغ وأقوى من النهي عن الفعل نفسه؛ فإذا كان ينهى عن القرب منها فمن باب أولى أنه ينهى عن الوصول إليها والظفر بها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ذكر أبو السعود في تعليل النهي عن قرب الفواحش أن"تعليق النهي بقُربانها إما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي إليها وإما لأن قربانَها داعٍ إلى مباشرتها"[2]، كما أن" النهي عن قربان العمل معروف في الكلام العربي وفي التنزيل خاصة ، والنهي عن العمل بهذه الصيغة يتضمن النهي

١ - ديوان الأعشى: صـ١٣٧.

٢ - تفسير أبي السعود، (٣/ ١٩٨)، . نشر/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

عن مقدماته"[1]؛ ففي نهي الشاعر عن القرب من الجارة نهي عن أي مقدمات قد يظهرها الجار لجارته؛ مما يدل على قوة الحماية لها، وإحاطتها بسياج يحميها ويحافظ عليها.

-ومن المؤكدات أيضا التأكيد بالنون الثقيلة (لا تَقرَبَنَّ)، وهي من أقوى المؤكدات؛ لتأكيد النهي عن القرب من الجارة.

-ومن الألوان البلاغية التي تبرز قوة الحماية للجارة في البيت تنكير (جارة)؛ لإفادة العموم، أي أن كل جارة يُلزم جارها بعدم الاقتراب منها ما دام ينطبق عليها وصف الجارة؛ مما يشير إلى أن تحريم القرب من الجارة ثابت وأصيل في كل زمان وفي أي مكان؛ وهذا يدل على أن هذا مبدأ عام لا يمكن الحياد عنه.

-ومن المؤكدات كذلك تعليل النهي عن القرب من الجارة بقوله:" إن سِرَّها عليكَ حَرامٌ"، ولا شك أن إيراد النهي معلَّلا أقوى وأدعى إلى الالتزام به من إيراده غفلا عن التعليل، وفصلت هذه الجملة عما قبلها لكمال الانقطاع.

-ومن مؤكدات الحماية كذلك الكناية في التعبير عن النكاح بالسر" إن سِرَّها"؛ لأنه مما يُسَر[2]، وهي هنا أبلغ من التصريح لأنها تبرز شدة حماية الشاعر لجارته، وحرصه على ألا يوجه إلى ضميرها لفظا فيه خدش لحيائها، يؤكد ذلك أنه في الشطر الثاني من البيت لما ذكر لفظ النكاح لم يوجهه إلى ضميرها أيضا، وإنما حذف المفعول ليحافظ على حيائها وعفتها فقال:

---

١ - تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، (٥/ ٩٢)، نشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

٢ - يقول الزمخشري:" والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء، لأنه مما يسر". الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٨٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

(فانْكِحَنْ)، ولم يقل فانكحها؛ حتى لا يوجه هذا اللفظ إلى ضميرها، وفي ذلك من المحافظة عليها ما لا مزيد عليه.

-وأُكد النهي أيضا بالقصر عن طريق التقديم" عليكَ حَرامٌ"؛ لتأكيد النهي عن القرب منها، أو التطلع إليها من كل أحد يصلح له الخطاب.

-وكما استهل الشاعر البيت بالنهي عن القرب من الجارة، وبيان حرمتها يختم البيت بأسلوب إنشائي آخر وهو الأمر(فانْكِحَنْ أو تَأَبَّدا)، والأمر هنا غرضه التخيير بين الزواج الشرعي من الجارة عند إرادة القرب منها، أو الابتعاد عنها.

وقد أبرز هذا الأمر قوة حرص الشاعر على حماية جارته، وخوفه عليها من أن تكون غرضا للألسنة، فإما القرب الحلال عن طريق الزواج، وإما الابتعاد عنها، ولا ثالث لهما.

-ومن الألوان البلاغية التي استخدمها الشاعر أيضا لتأكيد النهي عن القرب من الجارة رد العجز على الصدر في قوله: "أو تَأَبَّدا" أي: ابتعد، وهذا هو المعنى نفسه الذي يحمله النهي في صدر البيت "ولا تَقْرَبَنَّ"؛ مما جعل البيت كله كأنه كلمة واحدة تتوفر على غرض واحد هو حماية الجارة، وجعل المعنى كذلك يأتي في صيغتين مختلفتين وأسلوبين متقابلين (النهي والأمر)؛ فكان على درجة عالية من التأكيد والمبالغة.

وهكذا وظَّف الشاعر كل مفردات البيت وتراكيبه لتتوفر كلها على هدف واحد هو حماية الجارة والمحافظة عليها، وأن ذلك من الدين، ومن يخالف ذلك فقد ارتكب محرما يستحق العقاب عليه من الله تعالى.

* وقريب منه قوله أيضا في قصيدة تشتمل على نصائح وأمر بمكارم الأخلاق، ومطلعها:

ذريني لك الويلات آتي الغوانيا ** متى كنت زرّاعًا أسوق السَّوانيا[1].

وفيها يقول:

وكنْ من وراءِ الجارِ حِصْناً مُمَنَّعاً ** وأوقدْ شهاباً يسفعُ الناسَ حاميا

وجارةِ جَنْبِ البيتِ لا تبغِ سِرَّها ** فإنكَ لا تخفى من اللَّهِ خافيا[2]

يتحدث الأعشى في هذين البيتين عن الجار والدفاع عنه ضمن النصائح التي يقدمها في هذه القصيدة، فعلى الجار أن يكون حصنا لجاره وأمانا وقوة تذود عنه وتحميه ولو اقتضى الأمر إعلان الحرب بسببه، ثم يذكر في البيت الثاني أخص خصائص الجار وهي زوجته فينصح بحمايتها والمحافظة عليها ناهيا عن ابتغاء نكاحها والتحايل لذلك؛ فإن الله مطلع عليك ويعلم ما تسره وما تعلنه، وهذا أقوى زاجر عن التطلع إليها.

وقد اشتمل البيتان على عدة ألوان بلاغية اعتمد عليها الشاعر كدعائم قوية لتثبيت المعنى الذي أراده منها:

-التشبيه في البيت الأول (وكنْ من وراءِ الجارِ حِصْناً مُمَنَّعاً)، الذي يصور الجار حصنا منيعا لجاره يدافع عنه ويحميه، وبالغ في الحماية وصف الحصن بالممنَّع، فهو ليس مجرد حصن، وإنما هو حصن توفرت له كل مظاهر القوة التي تمكنه من حماية من يلوذ به.

-والكناية في قوله: (وأوقدْ شهاباً يسفعُ الناسَ حاميا) كناية عن إعلان الحرب من أجل الجار ونصرته.

وما أبلغ هذه الكناية بعد التشبيه في الشطر الأول حيث لم يرد الشاعر من الجار أن يكون مجرد مدافع عن جاره فقط عندما يعتدي عليه أحد وهو ما

---

١ - ديوان الأعشى: صـ٣٢٩، والسواني: جمع سانية، وهو البعير الذي يسنى عليه، أي: يستقى من البئر.

٢ - ديوان الأعشى: صـ ٣٢٩. وأوقد شهابا: أي أعلن الحرب من أجل الجار، والشهاب: النار. ويسفع: يحرق. وحاميا: شديد الحر. وسرّها: نكاحها.

يستفاد من التشبيه، وإنما جاء بالكناية ليصور الجار بالمحارب الذي ينتصر لجاره، ويعيد إليه حقه ولا يقتصر دوره على مجرد الدفاع، ولا شك أن هذا أبلغ في الحماية.

ومن الألوان البلاغية التي استخدمها الشاعر أيضا في إبراز حماية الجار ذكر الخاص بعد العام، حيث تحدث في البيت الأول عن حق الجار عامة ثم ذكر في البيت الثاني أخص خصائص الجار متمثلا في حماية زوجته حيث قوله:

وجارةِ جَنْبِ البيتِ لا تبغِ سِرَّها * فإنكَ لا تخفى من اللهِ خافيا**

ولا يخفى ما لذكر الخاص بعد العام من اهتمام بالخاص وبيان لفضله.

وقد استعمل الشاعر النهي المعلَّل أيضا (لا تبغِ سِرَّها فإنكَ لا تخفى من اللهِ خافيا)؛ لتأكيد الحفاظ على الجارة وحمايتها فعين الله ترقب من يتحايل لكشف ستر جارته، كما استخدم الكناية عن النكاح بالسر أيضا لتأكيد الحماية.

مقارنة:

بالنظر في الموضعين السابقين للأعشى في الحديث عن حماية الجارة يدرك المتلقي أن الموضعين قد اتفقا في بعض الأمور واختلفا في بعضها؛ مما يحدوه إلى المقارنة بينهما ليتبين زيادة أحدهما عن الآخر، ولا شك أنه بعد النظر ستظهر له فروق بين الموضعين يمكن استعراضها على النحو الآتي:

- اتفق الموضعان في استعمال النهي المعلَّل، كأسلوب اعتمد عليه الشاعر في النصح والوعظ بضرورة حماية الجارة وعدم التطلع إليها.

- اتفق الموضعان كذلك في الكناية عن نكاح الجارة بالسر، وقد ظهر خلال التحليل بلاغة هذه الكناية وروعتها.

- على الرغم من اتفاق الموضعين فيما سبق إلا أنه تبدو بعض الفروق الآتية:

- استعمل الشاعر أسلوب النهي، فقال في الموضع الأول: (لا تَقرَبَنَّ

جَارَةً)، وقال في الثاني (لا تَبْغِ سِرَّهَا)، أي لا تطلب نكاحها، فالابتغاء هنا معناه الطلب، يقول ابن فارس:" الباء والغين والياء أصلان: أحدهما طلب الشيء، والثاني جنس من الفساد. فمن الأول بغيت الشيء أبغيه: إذا طلبته. ويقال: بغيتك الشيء: إذا طلبته لك، وأبغيتك الشيء: إذا أعنتك على طلبه"[1].

ولا شك أن النهي عن القرب أبلغ من النهي عن الطلب؛ لأن النهي عن القرب يتضمن النهي عن الطلب، إذ لا يطلب هذا الشيء إلا من يكون قريبا، أما النهي عن الطلب فلا يمنع القرب؛ ولهذا كان النهي في الموضع الأول (لا تَقْرَبَنَّ) أبلغ.

– أيضا توجه النهي عن القرب في الموضع الأول إلى لفظ الجارة (لا تَقْرَبَنَّ جَارَةً)، وهو يدل على عدم القرب من كل شيء يتعلق بها من كلام ونكاح وغير ذلك، أما الموضع الثاني فقد توجه النهي عن الابتغاء إلى شيء معين وهو النكاح (لا تَبْغِ سِرَّهَا)، وهذا لا يمنع أن يطلب الحديث معها، أو التواصل معها بكل أنواع التواصل ما عدا النكاح؛ ولهذا كان النهي في الموضع الأول أقوى وأبلغ.

– نكَّر الشاعر في الموضع الأول لفظ الجارة ليشمل بعمومه كل من ينطبق عليها وصف الجارة، وعرَّفه بالإضافة في الموضع الثاني (وجارةِ جَنْبِ البيتِ)، فخصصه بجارة البيت المجاور فقط، فكان التنكير أقوى في المعنى من التعريف هنا.

– ورد تعليل النهي في البيت الأول على هذه الصورة (إن سِرَّها عليكَ حَرامٌ)، وفي الموضع الثاني جاء على هذه الصورة (فإنكَ لا تخفى من اللَّهِ خافيا)، وعلى الرغم من أن التعليل في الموضع الأخير يجعل رقابة على العبد من خالقه– سبحانه–، وعلى الرغم من أنها من الله– عز وجل–، لكن العبد

---

١ – معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (بغي) ، (١/ ٢٧١) ت/ عبد السلام محمد هارون، نشر/ دار الفكر، عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

اللاهي قد يغفل عنها في بعض الأحيان؛ لأنها رقابة من خارج نفسه، إلا أن التعليل في الموضع الأول يجعل رقابة المخاطب من داخل نفسه (إن سِرَّها عليكَ حَرامٌ)، ولا شك أن الرقابة الداخلية تكون ملازمة لصاحبها لا تنفك عنه.

– جاءت درجة التأكيد في الموضع الأول أقوى؛ حيث أكد الكلام بالنون الثقيلة وبالتكرار المعنوي المستفاد من رد العجز على الصدر، وهو ما لم نره في الموضع الثاني.

– من خلال كل ما سبق يمكن القول بأن المبالغة في المعنى في الموضع الأول أقوى وأوضح منها في الموضع الثاني، وإن كان الموضعان يشتملان عليها؛ ولعل هذا يتناسب مع مقام القصيدتين؛ فالقصيدة الأولى كما ذُكر أعدَّها الشاعر ليمدح بها النبي– ﷺ– وينشدها بين يديه عندما قرر القدوم عليه ليعلن إسلامه؛ فلا بد أنه أعدَّها إعدادا خاصا، بخلاف القصيدة الثانية فكانت نصائح ومواعظ عامة.

* ومن هذا الباب أيضا قول الأحوص الأنصاري:

ثِنْتَانِ لا أَدْنُو بِوَصْلِهِمَا * عِرْسُ الخَلِيلِ وَجَارَةُ الجَنْبِ**

أَمَّا الخَلِيلُ فَلَسْتُ فَاجِعَهُ * وَالجَارُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي.**(١)

يخصُّ الأحوص هنا صنفين من النساء لا يتواصل معهما ولا يحاول ذلك، وهما زوجة الصديق والجارة، ويعلل عدم وصلهما بأنه لا يمكن أن يفجع صديقه ويخونه في زوجه، والجار أوصاه ربه بحمايته وصيانته.

وقد استخدم الشاعر عدة وسائط بلاغية لتأكيد فخره بعدم الوصل لهذين الصنفين، يأتي على رأس هذه الوسائط الإيضاح بعد الإبهام، حيث ذكر الشاعر الصنفين مبهمين أولا (ثِنْتَانِ لا أَدْنُو بِوَصْلِهِمَا) ثم وضحهما بعد ذلك (عِرْسُ الخَلِيلِ وَجَارَةُ الجَنْبِ)، ومعلوم ما للإيضاح بعد الإبهام من تقوية

١- شعر الأحوص الأنصاري، صـ٢٩.

وتمكين للمعنى في النفس بما يحدثه من تشويق وترغيب، وأيضا بعرض المعنى في صورتين إحداهما مبهمة والأخرى موضحة.

يقول شيخنا الدكتور أبو موسى: "وبناء الكلام على الإيضاح بعد الإبهام من المزايا البلاغية في صياغة العبارة، وأمسها بطبائع النفس، فقد فطر الله الناس على التعلق بما يجهلون مما يلوح لهم منه طرف من العلم والانكشاف، أما ما لا يلوح منه هذا الطرف فإن الناس في غفلة عنه، والأسلوب المختار هو الذي يهتدي إلى فطرة هذه النفس، ويأتيها من جهتها، وحينئذ يمتلك زمامها وتسلس له قيادها"[1].

والتعبير بالدنو وتسليط النفي عليه (لا أَدْنُو بِوَصْلِهِمَا) أبلغ في المعنى من تسليط النفي مباشرة على الوصل (لا أَصِلُهُمَا)؛ لما يدل عليه من نفي للقرب من وصلهما ومحاولة ذلك فضلا عن الوصل نفسه.

ومن الألوان البلاغية التي اعتمد عليها الشاعر أيضا لتأكيد عدم وصل هذين الصنفين التفصيل بعد الإجمال، حيث إنه بعد أن ذكر الصنفين إجمالا في البيت الأول فصَّل في البيت الثاني سبب عدم وصلهما بأنه لا يمكن أن يفجع صديقه في أخص ما يمتلك، والجار حرمته ثابتة ومقدسة؛ لأن الله هو الذي أوصى به، ولا شك أن عرض الشيء مجملا أولا ومفصلا بعد ذلك يجعله أوقع في النفس وأثبت.

وبالتأمل يتضح أن هذا التفصيل قد جاء تعليلا لعدم وصل هذين الصنفين، وإيراد الشيء معللا أقوى وأدعى لقبوله من إيراده دون تعليل.

وبمعاودة التأمل يتبين أن التعليل لعدم وصل زوجة الجار أقوى من التعليل لعدم وصل زوجة الصديق؛ حيث علل عدم وصل زوجة الجار بأنها توصية ربانية لا بد للمرء أن يلتزم بها، وهذا لا شك أقوى من مجرد الرغبة في

---

١ – خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/ محمد محمد أبو موسى،(ص: ٣٤٩)، نشر/ مكتبة وهبة، ط٧.

عدم فجيعة الصديق، ناهيك عن أنه عبَّر بلفظ الوصية وما يدل عليه من حنو وحب وحث على الفعل، وتوجيهه إلى ضمير الشاعر مباشرة (أَوْصَانِي) دون أن يقول: أوصى، ثم التعبير بصفة الربوبية وما تدل عليه من إنعام وتربية، كل هذه أمور تبعث على الامتثال للأمر بحماية الجار وحماية كل ما يخصه.

* ومن مظاهر تحريمهم للجارة حفاظا عليها إقامة بعضهم لها مقام الأم، يحفظون لها ما يحفظون لأمهاتهم، وذلك كما في قول أَبي جَعْفَر الْعَدوي[١]:

شِرَى جَارَتِي سِتْرًا فُضُولٌ لِأَنَّنِي ** جَعَلْتُ جُفُونِي مَا حَيِيتُ لَهَا سِتْرَا

وَمَا جَارَتِي إِلَّا كَأُمِّي وَإِنَّنِي ** لَأَحْفَظُهَا سِرًّا وَأَحْفَظُهَا جَهْرَا

بَعَثْتُ إِلَيْهَا أَنْعِمِي وَتَنَعَّمِي ** فَلَسْتُ مُحِلًّا مِنْكِ وَجْهًا وَلَا شَعْرَا[٢]

يذكر الشاعر في هذه الأبيات أنه لا حاجة لجارته أن تشتري شيئا يسترها، فقد جعل جفونه سترا لها، وأنها كأمه يجب عليه حفظها في السر وفي الجهر؛ فعليها أن تنعم بالأمان والطمأنينة.

وأهم ما يلفت النظر في هذه الأبيات هو تشبيه جارته بالأم (وَمَا جَارَتِي إِلا كَأُمِّي)، وهو معنى غريب لم يُعهد في حديث الشعراء عن الجارة، لكنه أضفي على الصورة مزيدا من الحماية والقداسة والتكريم، وقد زاد الشاعر التشبيه قوة حين أتى به في صورة القصر مستخدما أقوى طرق القصر (النفي والاستثناء) لتأكيد حرمة الجارة، ووجوب حمايتها، وتآزر معه في زيادة التأكيد الطباق بين السر والجهر (وَإِنَّنِي لَأَحْفَظُهَا سِرًّا وَأَحْفَظُهَا جَهْرَا)، وتقديم السر

---

١ - أبو جعفر العدوي هو أحمد بن محمد بن يحيي بن المبارك بن المغيرة أبو جعفر العدوي النحوي المعروف أبوه باليزيدي كان من ندماء المأمون وقدم معه دمشق وتوجه منها غازيا للروم. تاريخ دمشق لابن عساكر، ت/ عمرو بن غرامة العمروي، (٥/ ٤٦٤)، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

٢ - المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي السامري، انتقاء/ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني، ت/ محمد مطيع الحافظ، وغزوة بدير،(ص: ٦٠)، نشر/ دار الفكر - دمشق سورية، ١٤٠٦ هـ.

على الجهر يفيد المبالغة في الحفظ؛ فإذا كان يحفظها سرا فمن باب أولى أنه يحفظها جهرا.

وقد جاء هذا التشبيه بعد أن ذكر في البيت الأول أن جفونه ستر لها فلا حاجة لها بشراء ما يسترها مؤكدا ذلك بالتعليل المؤكد (لِأَنَّنِي جَعَلْتُ جُفُونِي مَا حَيِيتُ لَهَا سِتْرَا)، وقد أكده بـ (أنَّ) والاعتراض (-مَا حَيِيتُ-) الذي يدل على مداومته الحفاظ على جارته ما دامت روحه تنبض بالحياة، وأيضا القصر عن طريق تقديم الجار والمجرور (لَهَا سِتْرَا)، قصر للستر عليها وحدها دون غيرها.

وفي البيت الثالث يطلب منها أن تنعم بحياتها مطمئنة بعد أن رفعها إلى أعلى درجات التكريم والتحريم؛ بإنزالها منزلة الأم، وتعهد بحمايتها حيث لا يحل له أن يرى أي شيء منها حتى وجهها وشعرها، ولا يخفى ما بين الوجه والشعر من تناسب يؤكد قوة الحماية لجارته؛ فإذا كان لا يحل له رؤية وجهها وشعرها فبالأحرى أنه لا يحل له رؤية غيرهما مما هو أدخل في الستر.

وهكذا رسم لنا الشاعر صورة مشرقة من صور الحماية لجارته، وأحاطها بهالة من التكريم والتقديس، وجعلها في منزلة عالية، مبالغة في حمايتها وعدم التطلع إليها.

الدافع الثاني: المروءة والشهامة:

* ومن دوافع حمايتهم للجارة بجانب كونها عقيدة وديانة فهي في الوقت نفسه دليل على المروءة والشهامة، والتخلي عن هذه الفضيلة خيانة تأباها النفس العربية الأصيلة، يتأكد للمتلقي ذلك حين يطالع قول حاتم الطائي:

إِذَا مَا بِتُّ أَخْتِلُ عِرْسَ جَارِي * لَيُخْفِيَنِي الظَّلَامُ فَلَا حَيِيتُ**

أَأَفْضَحُ جَارِتِي وَأَخُونُ جَارِي * مَعَاذَ اللهِ أَفْعَلُ مَا حَيِيتُ**[1]

١- ديوان حاتم الطائي: صـ٧٢. وأختل: أخادع . العِرس: الزوجة.

يدعو حاتم على نفسه بالهلاك والموت إن خادع زوجة جاره وتطلع إليها في خلسة وتخفي، وينكر على نفسه أن يكون سببا في فضح جارته وخيانة جاره؛ فهذه صفة تأباها نفسه، وتخالفها مروءته ما دام حيا.

وأبرز ما في البيتين هو الاستفهام المراد به النفي: (أَأَفْضَحُ جَارِتِي وَأَخُونُ جَارِي؟)، حيث نفي عن نفسه أن تكون منه مخادعة لجارته حتى لا يفضحها، وفي الوقت نفسه يكون خائنا لجاره، أي أنه لا يكون ذلك ولا يمكن أن يقع منه. وإيراد النفي في صورة الاستفهام هنا دليل على ثقته في نفسه وصدقه في الخوف من أن يفضح جارته أو أن يخون جاره.

والنفي كما هو غرض للاستفهام هنا فهو مفهوم من معنى الشرط في البيت الأول:

إِذَا مَا بِتُّ أَخْتِلُ عِرْسَ جَارِي * لَيُخْفِيَنِي الظَّلَامُ فَلَا حَبِيتُ**

أي: أنه لا يكون مني مخاتلة أو خيانة؛ مما يدل على مروءته وشهامته.

وقوله: (مَعَاذَ الله أَفْعَلُ مَا حَبِيتُ) احتماء والتجاء إلى الله -تعالى- أن يعصمه من فضح جارته وخيانة جاره طيلة حياته، وهذا التعبير يدل على صدق مروءته وشهامته وإصراره على الاستمرار في الابتعاد عما يسيء إليهما؛ فهذه الكلمة لا تقال إلا في الأمور شديدة القبح والسوء، والتي تحتاج إلى قوة ومجاهدة ليظل الإنسان ثابتا على مبادئه، فقد قالها سيدنا يوسف- عليه السلام- عندما راودته امرأة العزيز عن نفسه كما أخبر القرآن الكريم: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يوسف:٢٣

ذكر أبو السعود في تفسير قوله تعالى: {قَالَ مَعَاذَ الله} أي أعوذ بالله مَعاذاً مما تدعينني إليه، وهذا اجتنابٌ منه على أتم الوجوه، وإشارةٌ إلى التعليل بأنه منكَرٌ هائلٌ يجب أن يُعاذ بالله- تعالى- للخلاص منه، وما ذاك إلا لأنه- عليه السلام- قد شاهده بما أراه الله تعالى من البرهان النيّر على ما هو عليه

في حد ذاتِه من غاية القُبح ونهايةِ السوء"[١].

مما يدل على صدق شهامة حاتم الطائي ومروءته التي تأبي أن يتصف بهذه الصفة الذميمة (فضح الجارة وخيانة الجار).

الدافع الثالث: أنها عادة ورثوها عن آبائهم:

* كما علَّل بعضهم حماية الجارة بأنها ميراث ورثوه عن آبائهم وأجدادهم حتى أصبح عادة متأصلة فيهم لا تفارقهم، وذلك كما عند العجير السلولي[٢]:

يَبِينُ الجَارُ حِينَ يَبِينُ عَنِّي * وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَيَّ كِلَابُ جَارِي**

وَتظْعَنُ جَارَتِي مِنْ جَنْبِ بَيْتِي * وَلَمْ تُسْتَرْ بِسِتْرٍ مِنْ جِوَارِ**

وَتَأْمَنُ أَنْ أُطَالِعَ حِينَ آتِي * عَلَيهَا وَهي وَاضِعَةُ الخِمَارِ**

كَذَلِكَ كَانَ آبَائِي قَدِيماً * تَوَارَثَهُ النِّجَارُ عَنِ النِّجَارِ[٣]**

فالشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن حفظه لجارته، فبعد أن ذكر في البيت الأول أنه لشدة حفاظه على جاره وخصوصيته لا يزوره كثيرا، حتى إن

---

١ – تفسير أبي السعود، (٤/ ٢٦٥).

٢ – العُجَيْر السَّلُولي هو: العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب، من بني سلول: من شعراء الدولة الأموية. كان في أيام عبد الملك ابن مروان. كنيته أبو الفرزدق، وأبو الفيل. وقيل: هو مولى لبني هلال، واسمه عمير، وعجير لقبه. كان جوادا كريما، عدّه ابن سلام في شعراء الطبقة الخامسة من الإسلاميين. وأورد له أبو تمام مختارات في الحماسة. وقال ابن حزم: هو من بني سلول بنت ذهل بن شيبان. الأعلام للزركلي (٤/ ٢١٧)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م

٣ – موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (٥/ ١٠٩). والنِّجار الأصل والحسب، والنجر: الأصل والحسب، واللونُ أيضاً: وكذلك النِجارُ. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، ت/ أحمد عبد الغفور عطار،(٢/ ٨٢٣)، نشر/ دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م. وتقول العرب: إن نِجارها لواحدٌ أي جِنسُها وأصلها. العين للخليل بن أحمد، ، ت/ د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي(٦/ ١٠٧)، نشر/ دار ومكتبة الهلال.

الجار يمكث بجواره الزمن الطويل ثم يرحل وما أنِست كلابه إليه، وكذلك جارته تكون في مأمن بجواره لا تخشى أن يتطلع إليها، حتى ولو لم تكن متسترة بستر وليست تلبس خمارها، وفي البيت الأخير يذكر أن حفاظه على جاره وما يخصه إنما هو ميراث ورثه عن آبائه وأجداده.

وقد اعتمد الشاعر عدة ألوان بلاغية ساعدته في الكشف عن معناه في صورة واضحة كان من أروعها الكناية (ولم تأنس إليّ كلاب جاري) كناية عن قلة زيارته لجاره حتى لا يكون موضع شك وريبة، فالجار يجاوره مدة من الزمن ويرحل وما ألفته كلابه.

وتبدو بلاغة الكناية هنا وزيادتها من خلال إيرادها المعنى (قلة الزيارة) مصحوبا بدليله مشفوعا ببرهانه، وهو عدم أنس الكلاب له وتعودها عليه، وإيراد المعنى ومعه الدليل أقوى في إثباته مجردا عنه.

واستعمال العرب الكلاب في مثل هذه الكنايات شائع ومتداول، كما في التعبير بجبن الكلب كناية عن الكرم.

ويمكن أن يكون هذا مأخذا على الشاعر بقطيعة جاره، وهذا عكس ما هو معهود عند العرب من زيارة الجار وإكرامه مع المحافظة على عرضه.

كذلك استعمل الشاعر الأفعال المضارعة (يبين، تأنس، تظعن، تستر، تأمن، أطالع)، إشارة إلى تجدد هذه الأفعال وتكررها مع كل جار يجاوره؛ مما يدل على أن حمايته لجارته وصف ثابت متأصل فيه لا يحيد عنه، وقد أكد ذلك بالبيت الأخير:

كَذلِك كَانَ آبَائِي قَدِيماً * تَوَارَثَهُ النِّجَارُ عَنِ النِّجَار**

وما أبلغ وصف الآباء بالقدم (كان آبائي قديماً) ليدل على ثبوت هذه الصفة (حماية الجار) لآبائه وأجداده الأقدمين، فهي ميراث تليد فيهم.

والتعبير بقوله: "توارثه النِّجار عن النِّجار"، أبلغ مما لو قال: "توارثه الآباء عن الأجداد"؛ لأن النِّجار هو الأصل والحسب، فالتركيب المعبَّر به جعل آباءه وأجداده كلهم أصول يُرجع إليها، وما كان لهذا المعنى الرائق أن

يوجد لو أنه عبر بغير ما عبر به.

وهكذا دلَّنا الشاعر على أن حمايته لجاره وما يخصه (الجارة) إنما هو تراث ورثه عن أصوله، وأن عليه أن يحافظ عليه ويتمسك به حتى يسلمه لمن يأتي بعده.

من هنا يمكن القول بأن: أبرز الدوافع لحماية الجارة عند الشعراء قديما تتمثل في كونها ديانة وعقيدة وأمرا إلهيا ملزما، وكان هذا أقوى الدوافع وأكثرها ورودا في أشعارهم، وبجانب هذا الدافع كانت هناك المروءة والشهامة العربية التي تأبي أن تتعرض للجارة، أو تتطلع إليها، كذلك تعليل بعضهم أن هذا ميراث ورثوه عن أصولهم منذ القدم وعليهم أن يحافظوا عليه.

المبحث الثاني

بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق الفخر

احتلَّ التفاخر بحماية الجارة الجانب الأكبر لدى الشعراء عند حديثهم عنها؛ حيث اتخذه الشعراء مظهرا يدلِّلون به على مروءتهم وأصالتهم وزيادتهم على غيرهم، فكانت حماية الجارة من أشهر مفاخر العرب التي ملأت أشعارهم.

وقد تناول الشعراء في تفاخرهم بحماية الجارة عدة جوانب، فتحدثوا عنها من جانب المحافظة عليها وغض الطرف عنها، وعدم التطلع لأسرارها، كما تحدثوا عنها من جانب إطعامها وتقديم الهدايا إكراما لها، وتحدثوا عنها من جانب حمايتها عند غياب زوجها وعدم التعرض لها، هذه هي أبرز الجوانب التي تناولها الشعراء في تفاخرهم بحماية الجارة، وسأتناول هذه الجوانب بشيء من التفصيل من خلال ما ذكره الشعراء فيها.

* ففي المحافظة عليها وغض الطرف عنها، والعفة عن التطلع لأسرارها، يقول عَنْتَرة مفتخرا:

وَأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي * حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي مَأْوَاهَا**

إِنِّي اِمرُؤٌ سَمحُ الخَليقَةِ ماجِدٌ * لا أُتبِعُ النَفسَ اللَجوجَ هَواها**[1]

يفتخر عنترة هنا بعفته وصون عرض جارته؛ فلا يتطلع إليها إن هي بدت له حتى تتوارى عنه، وأن هذا خلق أصيل تربى عليه فجعله يتحكم في هوى نفسه.

وقد استهل الشاعر الأبيات بالفعل المضارع (أَغُضُّ) ليدل على تجدد هذا الفعل منه كلما بدت له جارته، وأن هذا دأبه وديدنه، وإسناده إلى الطرف دون النظر أو العين مبالغة في الغض؛ إذ الطرف هو ما يطبق على العين عند

---

١ – ديوان عنترة: صـ٣٠٨، ت/ محمد سعيد مولوي، نشر/ المكتب الثقافي، القاهرة، ١٩٦٤م.

تغميضها، "فالطرف: إطباق الجفن على الجفن، يقال: طرف يطرف طرفا: لحظ، وقيل: حرك شفره ونظر، والطرف: تحريك الجفون في النظر"[١]، فإسناد الغض إليه أبلغ من إسناده إلى العين وإن كان الطرف يطلق على العين مجازا، كما ذكر ابن فارس[٢].

والتعبير بالبُدُو (مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي) يشعر بقوة حماية الجارة؛ حيث إنه بمجرد أن يظهر جزء يسير منها يغض طرفه عن النظر إليها.

والإظهار في موطن الإضمار في قوله: (حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا)، حيث ذكر لفظ جارتي بعد أن ذكره في الشطر الأول من البيت ليدلل على اعتزازه بحماية جارته، وقوة افتخاره بذلك، ساعده إضافة الجارة إلى ضمير نفسه مما يؤكد اعتزازه بحمايتها، وقوة افتخاره بعدم التعرض لها.

وجاء البيت الثاني ليؤكد على أن حمايته لجارته، وعدم تطلعه إليها سجية ثابتة فيه تتماشى مع ما هو فيه من مجد وعزة، وعدم تحكم للأهواء فيه، وفصل عنه للاستئناف البياني إيجازا.

- وقريب منه قول حاتم الطائي مفتخرا:

وَمَا ضَرَّ جَارًا يا ابْنَةَ القَوْمِ فَاعْلَمِي * يُجَاوِرُنِي أَلَّا يَكُونَ لَهُ سِتْرُ**

بِعَيْنَيَّ عَنْ جَارَاتِ قَوْمِي غَفْلَةٌ * وَفِي السَّمْعِ مِنِّي عَنْ حَدِيثِهِمْ وَقْرُ**[٣]

والأبيات تتحدث عن عفة حاتم، ومحافظته على حرمة جاره، وأن جاره لا يحتاج إلى ما يستر به بيته؛ لأن حاتما لا يمكن أن يتطلع إليه ولا إلى داخل بيته، ولا يمكن أن يتسمع حديثهم.

---

١ - لسان العرب (طرف)، (٩/ ٢١٣).

٢ - ينظر: مقاييس اللغة (طرف)، (٣/ ٤٤).

٣ - ديوان حاتم الطائي، صـ٦٤.

وقد برع حاتم في إيراد أبياته على الأسلوب الخبري المجرد عن التوكيد؛ ليشعر القارئ بأن ما يخبر به حقائق معروفة يسلم بها الجميع، فليست بحاجة إلى ما يؤكدها.

وبجانب الأسلوب الخبري استعمل الشاعر بعض الألوان البلاغية التي ساعدته على إبراز عفته في أبهى صورة، ومن ذلك:

تنكير لفظ الجار (وَمَا ضَرَّ جَارا)؛ لإفادة العموم، أي: أن كل جار يجاوره لا يحتاج إلى أن يستر بيته؛ وفي هذا إيماء إلى أن هذا دأبه وديدنه مع كل جار له، مما يشعر بتأصل صفة العفة فيه وملازمتها له.

والفصل بين البيتين للاستئناف البياني، حيث يثير البيت الأول سؤالا مفاده: لماذا لا يحتاج جارك إلى ستر يستر بيته؟ فيكون الجواب: لأن بعيني غفلة عن حرماته، ولا يخفى ما للفصل من إيجاز بحذف السؤال، وإغناء السائل عن أن يسأل.

ومما يبالغ في عفته أيضا: تثنية العينين في قوله: "بِعَيْنَيَّ" أي أن غفلته متعلقة بكلتا عينيه وليست بعين واحدة؛ وهو مما يشعر بالمبالغة في عفته بعدم التطلع لجارته. وكذلك تقييد الغفلة بجارات قومه، فلم يقل: عن جاراتي، حيث تعدَّت الغفلة إلى جارات قومه وهو مما يبالغ في العفة أيضا.

والتناسب بين البصر والسمع وهما حاستان تواردتا على إثبات شيء واحد هو إثبات العفة لحاتم الطائي، فلم تقتصر المحافظة على غفلة العينين وإنما تعدتها إلى السمع أيضا، فهو لا يتسمع أحاديث جيرانه كمن أصيب بالصمم.

- وفي المعنى نفسه يقول مسكين الدارمي[1] مفتخرا:

---

١ - مِسكِين الدارِمي هو ربيعة بن عامر بن أنيف (بالتصغير) بن شريح الدارميّ التميمي: شاعر عراقيّ شجاع، من أشراف تميم. لقب مسكينا لأبيات قال فيها: (أنا مسكين لمن أنكرني) ، (ت ٨٩ هـ = ٧٠٨ م) له أخبار مع معاوية. وكان متصلا بزياد بن أبيه. الأعلام للزركلي (٣/ ١٦).

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ * وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقِدْرُ**
مَا ضَرَّ جَاراً لِي أُجَاوِرُهُ * أَلَّا يَكُونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ**
أَعْمَي إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ * حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِدْرُ**
وَيَصُمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا * سَمْعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقْرُ**[1]

يفتخر مسكين في هذه الأبيات بحسن الجوار، وإكرامه لجاره، وعدم تطلعه لبيته بالنظر أو التسمُّع أو غير ذلك.

وقد عرض لنا الشاعر صورا تدل على صدقه فيما يفتخر به؛ فناره ونار الجار واحدة، وإطعام الجار قبله، ولا يحتاج جاره لساتر يستر بيته عنه؛ فهو لا يتطلع لجارته عند خروجها، ولا يسلط عليها سهام نظره حتى يواريها بيتها كالأعمى، وأيضا هو لا يتسمع ما يدور بينها وبين زوجها كأنه أصم.

وقد برع الشاعر في إثبات قوة حمايته لجارته من خلال اعتماده على عدة ألوان بلاغية أبرزها الكناية، وقد وردت في موضعين:

الأول: في قوله (أَعْمَي إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ) كناية عن غض بصره عن جارته عند خروجها من بيتها، وهي كناية رائعة تصور قوة الحماية وعدم التطلع لجارته أبلغ تصوير؛ حيث تصوره في صورة الأعمى، وهي لا شك أبلغ في إثبات غض البصر.

ويمكن أن يحمل على التشبيه، ويكون التقدير: أنا كالأعمى....والأسلوب حين يحتمل لونين من الألوان البلاغية يكون أقوى في إثبات المعنى وأدل على امتلاء نفس المتكلم به، وفصل هذا البيت عما قبله للاستئناف البياني كما في أبيات حاتم السابقة.

ومما يؤخذ على الشاعر هنا استعماله أداة الشرط (إذا) في قوله: (إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ) حيث تدل على أنه لا يغض طرفه إلا عند تيقن خروج

---

١ – ديوان مسكين الدارمي، ت/ كارين صادر، صـ ٥٩، ٦٠، دار صادر– بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

جارته، ولو استعمل مكانها إن الشرطية لكان أبلغ؛ حيث تدل على أنه يغض طرفه بمجرد توقُّع خروج الجارة، وهذا أقوى في إثبات عدم التطلع إليها، وربما الوزن هو الذي اضطره لهذا.

الثاني: قوله (وَيَصُمٌّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمْعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقْرُ) كناية عن عدم التجسس على أحاديث الجارة مع حليلها.

وهذا التعبير الكنائي يفوق كثيرا التعبير العادي كأن يقال مثلا: أَسُدُّ أذني، أو لا أتجسس...إلخ؛ وذلك لما تشتمل عليه الكناية من تصوير رائع يجسد عدم التجسس ويؤكده.

وقد احتاط الشاعر لنفسه حيث نفى أن يكون الصمم هنا خِلقيا فلا يكون له فضل في عدم التجسس بقوله (وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقْرُ) لينفي عن نفسه الصمم إلا في وقت حديث جارته مع حليلها؛ حتى لا يتوهم متوهم أن الصمم في أصل خِلقته؛ وهذا أقوى في إثبات عفته.

وآثر الشاعر طريق الكناية في الموضعين السابقين ليقدم لنا المعنى مشفوعا بدليله، مصحوبا ببرهانه، وذلك بتصوير نفسه عند خروج جارته بالأعمى وعند حديثها بالأصم، وهو بهذا يفتح مجالا أرحب للتخيل فيتأكد المعنى في النفس حيث لم يعد لها تشوف إلى المزيد؛ لأنها رأته مشاهدا محسوسا.

كما تبدو روعة هاتين الكنايتين في ورودهما كدليل على عدم حاجة جاره إلى ساتر يستر بيته، وهو ما ذكره في البيت قبلهما:

مَا ضَرَّ جَاراً لِي أُجَاوِرُهُ * أَلَّا يَكُونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ**

مما يبالغ في حمايته لجارته وعدم التطلع إليها؛ وبهذا رسم لنا مسكين الدارمي صورة للجار المحافظ على حقوق جاره، وأعطانا درسا جليلا في الأخلاق والمحافظة على الجارة يجدر بنا أن نحفظه، ونحتذي مثاله، ولا يقتصر على الجارة فقط، وإنما لا نتعرض إلى النساء الأجنبيات، ولا نسارقهن النظرات الخائنات، كما أمرنا ديننا الحنيف.

موازنة:

بالنظر في الأبيات السابقة لعنترة وحاتم ومسكين يُلحظ تقاربها في المعنى، فعنترة يقول:

وَأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِيَ جَارَتِي * حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي مَأْوَاهَا**

وحاتم يقول:

بِعَيْنَيَّ عَنْ جَارَاتِ قَوْمِي غَفْلَةٌ * وَفِي السَّمْعِ مِنِّي عَنْ حَدِيثِهِمْ وَقْرُ**

وجاء على لسان مسكين:

أَعْمَي إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ * حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِدْرُ**

وَيَصُمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا * سَمْعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقْرُ**

وبالموازنة بين الأبيات الثلاثة يتبين أن كلا منهم قد زاد عن صاحبيه في أشياء، أُوردها على النحو الآتي:

أولا: الكناية عن غض البصر عند مسكين أقوى؛ حيث استعمل العمى والصمم، وهما أقوى من غض الطرف كما عند عنترة، وأقوى أيضا من التغافل كما عند حاتم.

ثانيا: زاد حاتم عن صاحبيه حيث لم يجعل غض البصر مقيدا بوقت خروج الجارة كما عندهما، وإنما هي صفة ملازمة له على الدوام، وهذا لا شك أقوى في إثبات الصفة له.

ثالثا: زاد عنترة عن مسكين بأن جعل غض الطرف بمجرد أن تبدو الجارة، أي بمجرد أن يظهر منها أي شيء يدل على أنها ستخرج (مَا بَدَتْ لِيَ جَارَتِي) في حين استعمل مسكين الخروج (إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ)، أي أنه لا يغض الطرف إلا إذا خرجت بكامل هيئتها، وهذا أضعف في المعنى من البُدُو.

رابعا: زاد حاتم عن صاحبيه أيضا بأنه تفاخر بغض البصر وعدم التجسس في بيت واحد، بخلاف مسكين الذي أوردهما في بيتين، وبخلاف عنترة الذي لم يتفاخر إلا بغض البصر فقط دون ذكر عدم التجسس؛ فاتسم

بيت حاتم بالإيجاز.

خامسا: زاد حاتم كذلك بأن قيد الغفلة بجارات قومه، ولم يقيدها بجاراته هو كما عند عنترة ومسكين، والإنسان حين يغض طرفه عن جارات قومه فهو عن جاراته أشد غضا، وأقوى حفظا.

وبهذا يكون حاتم- في نظري- أبلغ من صاحبيه في التفاخر بغض البصر وعدم التجسس.

- ومن هذا الباب أيضا قول حاتم الطائي مفتخرا كذلك:

فَأَقْسَمْتُ لا أَمشِي عَلَى سِرِّ جَارتِي * يَدَ الدَّهْرِ مَا دَامَ الحَمَامُ يُغَرِّد**

ولَا أَشْتَرِي مَالاً بِغَدْرٍ عَلِمْتُهُ * أَلَا كلُّ مَالٍ خَالَطَ الغَدْرَ أَنْكَدُ**

إِذَا كَانَ بَعْضُ المَالِ ربّاً لِأَهْلِهِ * فَإِنِّي بِحَمْدِ الله مَالِي مَعْبَدُ.**[1]

يفتخر حاتم الطائي في هذه الأبيات بعفته وطهارته، فلا يتطلع لسر جارته ليلا، ولا يغدر ولا يستعبده المال كما يستعبد بعض الناس.

وقد استهل حاتم الأبيات بالقسم (فَأَقْسَمْتُ) تأكيدا لعفته وعدم تطلعه لسر جارته، وجاء بالمقسَم عليه (لا أَمشِي عَلَى سِرِّ جَارتِي) مؤكَّدا بمؤكدين، الأول قوله: (يَدَ الدَّهْرِ) ومعناه أبد الدهر، أي طواله، والثاني قوله: (مَا دَامَ الحَمَامُ يُغَرِّد) كناية عن ملازمة هذا الوصف له ما دام الليل قائما، ولا يتعامل معها إلا إذا علت الشمس في وقت الصباح نفيا للريبة وحفاظا على عرض جارته.

يقول الجاحظ: "وللحمام أوقات صياح ودعاء مع الصّبح وقبيل ذلك على نسق واحد، ولكنّ النّاس إنّما ذكروا ذلك في الدّيك والحمار، لامتداد أصواتهما"[2]. فالشاعر لا يمشي في مصالح جارته وقضاء حوائجها إلا في وضح النهار بعد أن يمسك الحمام عن التغريد.

---

١ - ديوان حاتم الطائي صـ١٠٥. يد الدهر: أبد الدهر، أنكد: قليل الخير.

٢ - الحيوان للجاحظ، (٢/ ٤٠٦)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٤٢٤ هـ.

والكناية عن انكشاف الظلام والربط بينه وبين تغريد الحمام غير مشهورة عند العرب، وقد كنى القرآن الكريم عن طلوع النهار بتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود كما في آيات الصيام، لكن أن يكنى عنها بتغريد الحمام فهذا شيء جديد في الشعر.

* ومن مظاهر تفاخر الشعراء عند حديثهم عن الجارة أيضا:

التفاخر بإطعامها وتقديم الهدايا لها، وهو شيء لم يكونوا يروا فيه منقصة بل هو من مكارم الأخلاق وكمال المروءة؛ فقد كانت لهم بعض العادات المختلفة التي تتماشى مع ما تربوا عليه من عفة، كما كان من عادة نسائهم ألا يحتجبن ولا يرون في ذلك منقصة، فـ "قد كانت عادة نساء العرب أن لا يحتجبن لكرم أخلاق رجالهم وعفاف نسائهم غالبًا"[1]، بدليل غض البصر عنهن عندما يخرجن كما في الأبيات السابقة.

ومن ذلك قَوْلُ حَاتِمٍ الطَّائِيُّ:

إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ بَعْدُهُ * نَظِيْرٌ لَهُ يَغْنَى غِنَاهُ وَيَخْلُفُ**
وَإِنِّيْ لأَقْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ * وَأَطْعَنُ قُدْمًا وَالأَسِنَّةُ تَرْعُفُ**
وَإِنِّيْ لأُخْزَى أَنْ تُرَى بِي بِطْنَةٌ * وَجَارَاتُ بَيْتِيْ طَاوِيَاتٌ وَنُحَّفُ**[2].

وموطن الشاهد في البيت الأخير حيث يفتخر حاتم بأنه يحزنه أن يبيت شبعانا وجاراته يضعفهن الجوع.

وقد أكد معناه في مطلع البيت بإنَّ واللام (وَإِنِّيْ لأُخْزَى) تأكيدا للفخر بما يعتريه من خزي عندما يظهر عليه أثر الشبع، وجاراته يقاسين آلام الجوع.

وتآزر مع التأكيد في تقوية المعنى الكناية، حيث وردت مرتين في البيت:

---

١ - الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي ، (٢٢/ ١٢٣) ، نشر/ دار المنهاج - دار طوق النجاة، ط١ ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢ - ديوان حاتم الطائي:صـ٧٣.طاويات: خماص البطون جوعا. والنحيف: المهزول ضعيف الجسم.

الأولى: في كلمة (بِطْنَةٌ) كناية عن الشبع.

الثانية: في كلمتي (طَاوِيَاتٌ وَنُحَّفُ) كناية عن الجوع.

وازدانت هاتان الكنايتان بالطباق بينهما، مما جعل المعنى في صورتين متقابلتين، إحداهما تبرز أثر الشبع على صاحبه، والثانية تبين أثر الجوع؛ وهو مما يزيد المعنى قوة وثباتا، ساعده جمع الجارات.

وتبدو لي وجهة نظر في استعمال الشاعر لهاتين الكنايتين، فأرى أن الكناية في الموضعين قد أضعفت المعنى، ونزلت بدرجة الفخر؛ حيث إن البطنة لا تكون إلا بعد شبع طويل وامتلاء مستمر، وكذلك الطوى والنحافة لا تظهران إلا بملازمة الجوع زمنا، وهذا يشعر بأن الشاعر لا يُخزى ولا يحزن إلا إذا رأى أثر الشبع ظاهرا عليه يراه كل أحد، وأثر الجوع ظاهرا على جاراته يراه الجميع أيضا، ولو استعمل لفظي الشبع والجوع بدلا عن الكناية لكان أقوى في الفخر؛ حيث يدل على أنه يُخزى حين يحدث ذلك ولو مرة واحدة دون أن يستمر زمنا حتى تظهر آثاره، وهذا لا شك أقوى للمعنى؛ ولذلك كان عدي بن زيد[1] أبلغ منه حيث يقول:

وَبَسْلٌ أَنْ أَرَى جَارَاتِ بَيْتِي * يَجُعْنَ وَأَنْ أَرَى أَهْلِي شِبَاعَا**[2]

---

١ – عدِيّ بن زَيْد: هو عدي بن زيد حماد بن زيد العبادي التميمي: شاعر، من دهاة الجاهليين. كان قرويا، من أهل الحيرة، فصيحا، يحسن العربية والفارسية والرمي النشاب، ويلعب لعب العجم بالصوالجة على الخيل. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، اتخذ في خاصته وجعله ترجمانا بينه وبين العرب. فسكن المدائن. ولما مات كسرى أنو شروان وولي ابنه " هرمز " أقرّ عديا ورفع منزلته ووجهه رسولا إلى ملك الروم ثم تزوج هندا بنت النعمان ابن المنذر ووشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة. ت(نحو ٣٥ ق هـ = نحو ٥٩٠ م) الأعلام للزركلي (٤/ ٢٢٠) .

٢ – ديوان عدي بن زيد العبادي، ت/ محمد جبار المعيبد، صـ ١٤٧، نشر/ دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٥م. والبَسْلُ: الحَرامُ، والحَلالُ، ضِدٌّ، للواحِدِ والجَمْعِ، والمُذَكَّرِ والمُؤَنَّثِ. القاموس المحيط للفيروزآبادى ، ت/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، صـ:٩٦٦، نشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

والمعنى: حرام أن أرى جارات بيتي جوعى وأهلي شباعا؛ حيث لم يُطل أمد الجوع حتى تظهر النحافة، ولم يُطل أمد الشبع حتى تظهر البطنة كما ذكر حاتم، كما أنه عبر بالحرمة ولم يقتصر على مجرد الخزي الذي اقتصر عليه حاتم، والحرمة لا شك أقوى، هذا فضلا عن أنه أسند فعل الرؤية لضميره هو، ولم يجعله لكل من تتأتى منه الرؤية كما عند حاتم.

ويزيد عليهما جرير حين يفتخر بأنه يطلب المعالي البعيدة فينالها، ولكنه ليس كثير الزيارة لجارته إلا إذا كان يرفدها بأجود أنواع اللحوم فيقول:

قَدْ أَطْلُبُ الحَاجَةَ القُصْوَى فَأُدْرِكهَا * وَلَسْتُ لِلْجَارَةِ الدنْيا بِزَوَّارِ**

إِلَّا بِغِرّ مِنَ الشِّيزَي مُكَلَّلَةٍ * يَجْرِي السَّدِيفُ عَلَيهَا المَربَع الوَارِي**[1]

فهو لا يزور جارته القريبة إلا بأجود أنواع اللحم، وقد أكد ذلك بتقديم الجار والمجرور (لِلْجَارَةِ الدنْيا)، وزيادة الباء (بِزَوَّارِ)؛ تأكيدا لعدم زيارته لها إلا على هذه الحالة، مما يدل على شدة إكرامه لها.

ومما يؤخذ على الشاعر هنا تقييد الجارة بوصف (الدنيا) الذي يدل على أنه لا يفعل ذلك إلا مع جاراته القريبين منه دون أن يكون ذلك وصفا عاما مع كل جاراته، وهذا يضعف درجة الفخر.

– وقد فصَّل لنا جرير ما يقدمه لجارته بأنه أجود أنواع الطعام، وهو ما لم نره عند حاتم وعدي بن زيد في الموضعين السابقين، كما أنه لم يكن مطلق هدية كما عند حاتم أيضا في قوله في المعنى نفسه:

لا نَطرُقُ الجاراتِ من بعدِ هَجْعَةٍ * مِنَ الليلِ، إلَّا بِالهَدِيَّةِ تُحْمَلُ**

---

١ – ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، ت/ د. نعمان محمد أمين طه،(١/ ٢٣٣)، نشر: دار المعارف، القاهرة – مصر، ط٣. والغر من الجفان: البيض من السنام. والسديف السنام المنتهي سمنًا، و الواري من الإبل: السمين منها، والشيزي: الجفان، وأصل الشيزى: شجر تتخذ منه الجفان، وسمى الجفان شيزى باسم أصلها. هامش الديوان: ١/ ٢٣٣.

وَلَا يُلْطَمُ ابْنُ العَمِّ وسْطَ بُيُوتِنَا * وَلَا نَتَصَبَّى عِرْسَهُ حِينَ يَغْفَلُ**[1]

يفتخر حاتم في البيتين بأنهم يحافظون على جاراتهم؛ فلا يطرقونهم ليلا إلا لتقديم الهدايا لهم، وأيضا يحافظون على ابن عمهم وعرضه حين يكون بينهم، ولا يترقبون غفلته ليتعرضوا لزوجته.

وقد شمل القصر عن طريق النفي والاستثناء البيت الأول- موضع الشاهد- بأكمله؛ لتخصيص طَرْق جاراتهم بأنه لا يكون إلا لتقديم الهدية لهم ليس إلا؛ مما يدل على عفتهم ونفي الريبة عنهم، فهم لا يطرقونهم لأي سبب آخر.

وساعد على إبراز قوة الفخر استعمال نون الجمع في الفعل (نَطرُقُ) الذي يدل على أن هذا ليس دأب الشاعر وحده وإنما دأب قومه أيضا، كما أنه يشير إلا أنه لا يطرق الجارات وحده، وإنما يكون معه غيره؛ وهذا أقوى في نفي الريبة عنه.

كما أن تقييد الطرق للجارات بأنه (من بعدِ هَجْعَةٍ) دلالة على أنه يأتيهم في أول الليل قبل أن يستغرقوا في النوم؛ وفي هذا نفي للريبة عنه أيضا.

* ومن مظاهر التفاخر بالمحافظة على الجارة أيضا عند الشعراء حمايتها عند غياب زوجها وعدم التعرض لها:

- ومن ذلك قول عقيل بن عُلَّفَة المري[2]:

---

١ - ديوان حاتم الطائي: صـ٧٩، ٨٠، والهجعة: النوم الخفيف ليلا، نتصبَّى: نميلها إلى الصبا.

٢ - هو عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب ابن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن ريث بن عطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر أبو العملس ويقال أبو الخرقاء ويقال أبو علفة ويقال أبو الوليد المري من أشراف بني مرة ووجوههم وكان يسكن البادية ووفد على عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز وغيرهما من خلفاء بني أمية وجعله ابن سلام في الطبقة الثامنة من الإسلاميين وكان شريفا شاعرا وشديد الغيرة وكانت الملوك تخطب إليه. تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٢٨ ، ٢٩) .

وَلَسْتُ بِسَائِلٍ جَارَاتِ بَيْتِي * أَغُيَّابٌ رِجَالُكِ أَمْ شُهُودُ**
وَلسْتُ بِصَادِرٍ عَنْ بَيتِ جَارِي * صُدُور العير غَمَّرهُ الْوُرُود**
وَلَا ملقٍ لذِي الوَدَعَاتِ سَوْطِي * أُلَاعِبُهُ وَرَبَّتُهُ أُرِيدُ**[1]

يقول: أنا عفيف لا أسأل جاراتي عن رجالهن، ولا أختلف إليهن عند غياب أزواجهن؛ لأن ذلك فعل المريب، كما أنني عفيف لا ألتفت إلى بيوت الجارات التفات العير نحو الماء إذا شرب الري، ولا أشغل الصبيان بسوطي لأخلو بأمهاتهم.

وقد أكد معناه بزيادة الباء المؤكِّدة (بِسَائِلٍ، بِصَادِرٍ)، وتصدير أبياته الثلاثة بالنفي تأكيدا لعفته ومحافظته على جاراته خاصة عند غياب أزواجهن.

- وقريب منه قول الْمُقَنَّعِ الْكِنْدِيّ[2] :

أَرَى دَارَ جَارِي إِنْ تَغَيَّبَ حِقْبَةً * عَلَيَّ حَرَامًا بَعْدَهُ إِنْ دَخَلْتُهَا**
قَلِيلٌ سُؤَالِي جَارَتِي عَنْ شُؤُونِهَا * إِذَا غَابَ رَبُّ الْبَيْتِ عَنْهَا هَجَرْتُهَا**
أَلَيْسَ قَبِيحًا أَنْ يُخَبَّرَ أَنَّنِي * إِذَا كَانَ عَنْهَا شَاحِطَ الدَّارِ زُرْتُهَا**[3]

١- شرح حماسة أبي تمام للفارسي، ت/ د. محمد عثمان علي،(٢/ ٢٣٢)، نشر/ دار الأوزاعي،بيروت،ط١.وربته: يعني أمه، وذو الودعات: الصبي، والودعات: الخرز، والتغمير: أن يشرب يسيراً وبه حاجة إلى الماء، وتدعوه نفسه إليه، وخص العير لأنه أقل الدواب صبرا على الماء، فإذا شرب دون الري وخلي عنه جعل يتلفت إليه.

٢ - المُقَنَّع الكِنْدي: هو محمد بن عميرة بن أبي شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله الكندي، شاعر، من أهل حضرموت. مولده بها في (وادي دوعن) . اشتهر في العصر الأموي. وكان مقنعا طول حياته، و (القناع من سيما الرؤساء) كما يقول الجاحظ. وقال التبريزي في تفسير لقبه: المقنع الرجل اللابس سلاحه، وكل مغط رأسه فهو مقنع، وزعموا أنه كان جميلا يستر وجهه، فقيل له: المقنع! وفي القاموس والتاج: المقنّع، المغطى بالسلاح أو على رأسه مغفر خوذة. الأعلام للزركلي (٦/ ٣١٩).

٣ - المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها لأبي بكر الخرائطي السامري، ت/ محمد مطيع الحافظ، وغزوة بدير،(ص: ٥٩)، نشر: دار الفكر - دمشق سورية، ١٤٠٦ هـ.

حيث يرى الشاعر حرمة دخول بيت جاره في غيبته، وأنه قليل السؤال لجارته عن أحوالها عند غياب زوجها؛ نفيا للتهمة ودفعا للريبة عنه؛ حتى لا يُظن به ظن سيء.

ومما زاد من قوة الفخر هنا أن الشاعر علَّل عدم دخول دار جاره، وزيارة زوجته في غيابه بأمرين: أحدهما: ديني عقدي، وهو الحرمة في البيت الأول، والثاني: عرفي اجتماعي، يتمثل في مجانبة القبح وقلة المروءة التي يشتهر بها بين الناس لو أنه زار جارته في غياب زوجها كما وضح في البيت الأخير.

– وزاد حاتم الطائي على ما سبق بأنه لا يزور جارته في غياب زوجها، لكن هذا لا يمنع أن خيره وعطاءه سيصلها إلى أن يرجع بعلها دون أن يدخل بيتها، أو يلم بها، فنراه يقول:

أُشَاوِرُ نَفْسَ الْجُودِ حَتَّى تُطِيعُنِي ** وَأَتْرُكُ نَفْسَ الْبُخْلِ ما أَسْتَشِيرُهَا
وَمَا تَشْتَكِينِي جَارَتِي غَيْرَ أَنَّنِي ** إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لا أَزُورُهَا
سَيَبْلُغُهَا خَيْرِي وَيَرْجِعُ بَعْلُهَا ** إِلَيْهَا وَلَمْ تَقْصُرْ عَلَيَّ سُتُورُهَا[1]

والمعنى: أن له نفسين، نفس تحثه على الكرم والجود، وهذه يشاورها دائما، والأخرى تحثه على البخل، وهذه يهملها ولا يستشيرها في شيء، وأن جارته لا يمكن أن تشكوه؛ لأنه لا يقصِّر في حقها، ويكفيها حاجتها عند غياب زوجها، دون أن يدخل خدرها وتسبل عليه سترها.

وقوله (وَمَا تَشْتَكِينِي) أي لا يمكنها أن تشكوني إلى نساء الحي فتقول: إن حاتماً بخل علي، ومنع عني معروفه، في غياب زوجي، لا تقول ذلك لأني لا أقصِّر في فعل كل ما ينعم عيشها، ويكفي حاجتها، إلا الزيارة فإني كنت أدعها مدة غياب زوجها.

وقد برع الشاعر في الإتيان بمعناه من خلال أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم، حيث ذكر في الشطر الأول من البيت الثاني (وَمَا تَشْتَكِينِي جَارَتِي

---

١ – ديوان حاتم الطائي: صـ٨٩، ٩٠. وقصر الستر: إرساله.

غَيْرَ أَنَّنِي) ما يجعل المتلقي يتوقع بأن ما سيُذكر ذم له أشعر به الفعل (تَشْتَكِينِي) فإذا به أسلوب مدح (إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لا أَزُورُهَا)؛ فيتأكد بذلك الفخر بحمايته لجارته أقوى تمكن.

وجاء البيت الأخير لينفي ما قد يتوهم من أنه لا يزورها ولا يرعى شئونها في غيبة زوجها فينقص ذلك من درجة الفخر، فذكر أنه مع عدم زيارته لها إلا أن خيره لن ينقطع عنها حتى يرجع بعلها، وهو مما يزيد في درجة الفخر.

وأكد الشاعر وصول خيره إليها بالسين، والإتيان بالمضارع (سَيَبْلُغُهَا) مما يدل على تجدد وصول خيره إليها.

والتعبير بلفظ الخير وما يدل عليه من عموم يشمل الطعام وغيره زيادة في الفخر؛ حيث لا يقتصر إكرامه لها في غيبة زوجها على الطعام والشراب فقط، وإنما كل ما يشمله لفظ الخير سيصل إليها.

- وقد افتخر حميد بن ثور الهلالي[1] بما افتخر به حاتم فقال:

وَإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي * وَإِنِّي لَمَشْنُوءٌ إِلَيَّ اغْتِيَابُهَا**
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا * زَءورًا وَلَمْ تَأْنَسِ إِلَيَّ كِلَابُهَا**
وَمَا أَنَا بِالدَّارِي أَحَادِيثَ بَيْتِهَا * وَلَا عَالِمٌ مِنْ أَيِّ حَوْكٍ ثِيَابُهَا[2].**

---

١ - حميد بن ثورٍ الْهِلَالِي شاعِر إسلامي أدرَكَ النَّبِي- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم - بالسِّن، وَتُوُفِّي فِي حُدُود السّبْعين لِلْهِجْرَةِ وَقيل أَنه أدرك الْجَاهِلِيَّة، وَفد على خلفاء بني أميَّة، وعدَّه مُحَمَّد بن سلاَّم فِي الطَّبقَة الرَّابِعَة من شعراء الْإِسْلَام ، قَالَ الأصمعيّ : الفصحاء من شعراء الْعَرَب فِي الْإِسْلَام أَرْبَعَة راعي الْإِبِل النميريّ وَتَمِيم بن مقبلٍ العجلانيّ وَابْن أَحْمَر الباهليّ وَحميد بن ثورٍ الهلاليّ وَكلهمْ من قيس عيلان. الوافي بالوفيات للصفدي، ت/ أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (١٣/ ١١٨)، نشر: دار إحياء التراث - بيروت ،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢ - (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي ، ت/ محمد رضوان الداية، ١/ ٦١٩، نشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، ط١، ١٩٩١م.

مَشْنُوءٌ: مبغض مكروه، يقول أنه يكره أن يزور جارته؛ لئلا يساء به الظن، كما يكره أن يغتابها حفاظا عليها، وعند غياب زوجها لا يكثر من زيارتها، ولا يعرف شيئا عنها وعما يدور في بيتها.

وقد استهل الأبيات بتأكيد قوي (وَإِنِّي لَعَفٌ- وَإِنِّي لَمَشْنُوءٌ) ليؤكد عفافه عن زيارة جارته، وكرهه اغتيابها؛ حفاظا عليها.

وفي البيت الثاني ينفي عن نفسه الإكثار من زيارتها عند غياب زوجها قائلا: (إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا زَءورًا)، مؤكدا ذلك بالكناية (وَلَمْ تَأْنَسِ إِليَّ كِلَابُهَا) كناية عن قلة الزيارة.

ولم يكتف الشاعر بكناية واحدة دليلا على صدق قوله، وإنما أتبعها بكنايتين تؤكدان ما أكدته الكناية السابقة (قلة الزيارة)، فيأتي بالبيت الثالث:

وَمَا أَنَا بِالدَّارِي أَحَادِيثَ بَيْتِهَا * وَلَا عَالِمٌ مِنْ أَيِّ حَوْكٍ ثِيَابُهَا**

وقد اشتمل كل من شطري البيت على كناية تؤكد قلة زيارته، فهو لا يدري أحاديث بيتها، ولا يعلم نوع الثياب التي تلبسها، ولو كان مكثرا للزيارة لعلم كل ذلك؛ مما يؤكد قلة زيارته وعفته.

وعلى الرغم من إجادة الشاعر في استعمال أكثر من كناية، وتوفرها لإثبات معنى واحد إلا أن استعماله صيغة المبالغة (زَءورًا) قد يضعف المعنى، حيث ينفي كثرة الزيارة ولا ينفي قلتها.

- ومن التفاخر بالمحافظة على الجارة أيضا عند غياب زوجها:

قول طفيل الغنوي[1]:

---

١ - طُفَيْل الغَنَوي: هو طفيل بن عوف بن كعب، من بني غني، من قيس عيلان: شاعر جاهلي فحل، من الشجعان، وهو أوصف العرب للخيل، وربما سمي (طفيل الخيل) لكثرة وصفه لها. ويسمى أيضا (المحبر) بتشديد الباء، لتحسينه شعره. عاصر النابغة الجعديّ، وزهير بن أبي سلمى، ومات بعد مقتل هرم بن سنان. له ديوان شعر صغير. وكان معاوية يقول: خلوا لي طفيلا، وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء، توفي (نحو ١٣ ق هـ = نحو ٦١٠ م). الأعلام للزركلي (٣/ ٢٢٨).

وَلَا أُخَالِفُ جَارِي فِي حَلِيلَتِهِ * وَلَا ابنِ عَمِّي غَالَتْنِي إِذًا غُولُ**[1]

حيث يدعو على نفسه بالهلاك إن هو تحايل لزيارة جارته وإغوائها عند غياب زوجها، وكذلك ابن عمه.

وتقديم الجار على ابن العم يؤكد مكانة الجار عند طفيل، وقوة المحافظة على زوجته.

والتعبير بلفظ الحليلة مسندا إلى ضمير جاره مناسب جدا هنا؛ حيث يدل على أنها لا تحل إلا لزوجها، وأنها حرام على غيره، فمن يتطلع إليها إنما يتطلع لفعل محرم، وهذا أقوى في الزجر، وأدعى للمحافظة على حرمتها.

وهكذا رسم الشعراء في تفاخرهم بحماية الجارة لوحة مشرقة تبرز عفتهم ومروءتهم؛ باستعراض مظاهر حمايتها، فتحدثوا عنها من جانب المحافظة عليها وغض الطرف عنها، وعدم التطلع لأسرارها، كما تحدثوا عنها من جانب إطعامها وتقديم الهدايا إكراما لها، وتحدثوا عنها من جانب حمايتها عند غياب زوجها وعدم التعرض لها، وبهذا وضحت صورة الجارة محاطة بسياج من الحماية والحفظ، كل ذلك في أسلوب رائق ومعان قوية.

❁❁❁❁❁

١ – ديوان طفيل الغنوي بشرح الأصمعي، ت/ حسان فلاح أوغلي، صـ ٧٨، نشر/ دار صادر – بيروت،ط١، ١٩٩٧م.

المبحث الثالث

بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق المدح والرثاء

توطئة:

كثر في الشعر العربي المدح بحماية الجار عامة، حيث اتخذه الشعراء مسلكا ضمن المسالك التي يدخلون بها إلى قلوب ممدوحيهم، وفي بعض الأحيان يتعرضون للمدح بحماية الجارة ضمن الحديث عن حماية الجار.

كما كان الرثاء بحماية الجارة أيضا مظهرا من المظاهر التي دلَّل بها الشعراء على مكانة من يرثونهم وما كانوا يتصفون به من أخلاق فاضلة ضمن ما يعددون لهم من شمائل.

ونظرا لقلة عدد الشواهد التي وردت في حديث الشعراء عن الجارة في غرض الرثاء؛ فقد أدخلت الرثاء مع المدح لشدة القرب بينهما؛ حيث لا يختلف عنه إلا أنه مدح للموتى، وجعلته في مطلبين على النحو الآتي:

المطلب الأول

بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق المدح

بمطالعة المواضع التي ورد فيها المدح بحماية الجارة في الشعر وجدت أن أكثر مواضع ورود هذا النوع في مدح الأقوام، وورد بقلّة في مدح الأشخاص؛ لأن الشاعر حين يمدح شخصا يركز على الصفات التي تهزه للسماح والبذل، فيمدحه بالكرم والسخاء وإغاثة الملهوف وكفاية المحتاج وغير ذلك مما يجعله يغدق له العطاء.

* ومن هذا النوع في مدح الأشخاص قول هدبة بن الخشرم[1] يمدح صاحبا له يكنى أبو سليمان:

وَنِعْمَ الفتى ولا يودَّعُ هالكاً ** ولا كذباً أبو سليمانَ عاطفُ
لِجَارَتِهِ الدُّنيا وللجانبِ العِدَى ** إذا الشَّولُ راحتْ وهي حدبٌ شواسفُ
وَبَادَرَهَا قصرَ العشيَّةِ قَرْمَهَا ** ذرى البيتِ يغشاهُ من القُرِّ آزفُ[2]

---

١ - هدبة بن الخشرم بن كُرز، من بني عامر بن ثعلبة من سعد هذيم من قضاعة، شاعر جاهلي فصيح من قبيلة عذرة وأمه شاعرة هي (حية بنت أبي بكر بن أبي حية) وقد سماها التبريزي (ريحانة)، وفي الأغاني: كان هدبة راوية الحطيئة وكان جميل راوية هدبة، وليس في المصادر الكثير عن حياته وشعره إلا ما كان بينه وبين ابن عمه (زيادة) من المقاتلة التي أفضت إلى سجنه وقتله قصاصا.

٢ - شعر هدبة بن الخشرم العذري للدكتور/ يحيى الجبوري، صـ١٣٤، نشر/ دار القلم- الكويت، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. والشائلة من الإبل: التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها، والجمع شول. لسان العرب- شول- (١١/ ٣٧٤). والحدباء: الدابة التي بدت حراقفها وعظم ظهرها؛ وناقة حدباء: كذلك، ويقال لها: حدباء حدبير وحدبار، ويقال: هن حدب حدابير. وسنة حدباء: شديدة، شبهت بالدابة الحدباء. لسان العرب- حدب- (١/ ٣٠١)، وشواسف: الإبل الضامرة المهزولة. ينظر: تهذيب اللغة ج ل م (١١/ ٧١). والقصر: العشية، وأتيته قصرا أي عشية، والقرم: شدة الشهوة إلى اللحم، قرم إلى اللحم، وفي المحكم: قرم يقرم قرما، فهو قرم: اشتهاه، ثم كثر حتى قالوا مثلا بذلك: قرمت إلى لقائك. وفي الحديث: كان يتعوذ من القرم، وهو شدة شهوة اللحم حتى لا يصبر عنه. لسان العرب- قرم-(١٢/ ٤٧٣)، والقُرُّ: البردُ، والقِرّة: مَا يصيبُه من القُرِّ. تهذيب اللغة-قر- (٨/ ٢٢٤). وأَزِفَ الرجُل: أي عَجِلَ، فهو آزف على فاعل. الصحاح للجوهري- أزف- (٤/ ١٣٣٠)

فجارة الممدوح هنا لها الدنيا كلها خاصة إذا اشتد الزمان، وجف الضرع، وهزلت الإبل، واشتُهيَ اللحم خاصة في ليالي الشتاء شديدة البرودة، فإنه يغدق عليها من أمواله التي تدفع الفاقة عنها عاجلا، ولا يتركها تعاني ذل الحاجة، فهي تعيش في كنفه آمنة مطمئنة.

وقد تأنق القصر عن طريق تقديم المسند (لجارته) على المسند إليه (الدنيا) لتخصيص هذا الكرم الواسع بجارة ممدوحه دون غيرها.

وبالغ من روعة المدح هنا أن الشاعر لم يقيد عطاء الممدوح لجارته بشيء معين، وإنما جعل لها الدنيا كلها؛ مما يبالغ في الإكرام والعناية.

وتآزر مع هذا العموم المفهوم من لفظ الدنيا في تقرير الإكرام تقييد هذا العطاء بوقت الشدة (إذا الشَّولُ راحتْ وهي حدبٌ شواسفُ) أي: إذا جف الضرع وظهر أثر الجوع على الإبل، حيث يكون الإنسان في هذا الوقت حريصا على ما في يده، لكن الممدوح يعاجل جارته بكل ما تحتاجه في هذا الوقت، وإذا كان يفعل معها ذلك في وقت العوز واشتداد الزمان فما بالنا بوقت الرخاء والنماء، والجملة كناية عن شدة الحاجة والفقر.

* ومما ورد من مدح الأقوام بحماية الجارة قول الأعشى يمدح سلامة بن يزيد الحميري:

وقَوْمُك إنْ يَضْمَنُوا جَارَةً * يَكُونُوا بِمَوْضِعِ أَنْضَادِهَا**
فَلَنْ يَطْلُبُوا سِرَّهَا لِلْغِنَى * وَلَنْ يُسْلِمُوهَا لِإِزْهَادِهَا**[1]

والمعنى: إن في قوم الممدوح عفة ووفاء، تُجاورهم المرأة فيقومون مقام أهلها وعشيرتها، لا يطمعون في مالها إن كانت غنية فيطلبوا نكاحها، ولا يَضِيقُون بها إن كانت فقيرة فيُضَيّقوا عليها زهدا فيها، ولكنها مكرمة على أي حال تكون بها.

---

١ – ديوان الأعشى:صـ٧٥. والأنضاد: الأعمام والأخوال، وسرها: نكاحها، ولن يسلموها: لا يتخلون عنها، لإزهادها: زهدا فيها لفقرها.

وقد اعتمد الشاعر بعض الألوان البلاغية التي ساعدته في إبراز المعنى وعلى رأسها استعمال أسلوب الشرط (إِنْ يَضْمَنُوا جَارَةً يَكُونُوا بِمَوْضِعِ أَنْضَادِهَا)، ومعلوم ما يضفيه أسلوب الشرط على الكلام من قوة وتأكيد لتحقق الجواب عند تحقق الشرط، فقوم الممدوح حين يضمنون الجارة يكونون لها كالأعمام والأخوال يحافظون عليها ويحمونها.

وتنكير جارة وما يدل عليه من عموم مما يبالغ في مدح هؤلاء القوم؛ فإن أي جارة يضمنونها يكونون لها بهذه المنزلة، مما يدل على قوة مروءتهم وأصالتهم.

ولم يكتف الشاعر بهذا الخبر المجرد عن الدليل على شهامتهم ومروءتهم، وإنما عرض في البيت الثاني أدلة تؤكد ما ادعاه في البيت الأول بأنهم لها كالأعمام والأخوال؛ حيث لا يطلبون نكاحها إن كانت غنية طمعا في مالها، ولا يزهدون فيها إن كانت فقيرة بسبب فقرها، وهذا شأن الأعمام والأخوال مع ذوي قرابتهم.

وقد ساعدت المقابلة الشاعر في البيت الثاني على إبراز موقف قوم الممدوح مع جارتهم في حالتين مختلفتين وتوضيحها في إيجاز يؤكد شهامتهم ومروءتهم، كما تأنقت الكناية عن النكاح بالسر (فَلَنْ يَطْلُبُوا سِرَّهَا)، وتكرار النفي (لن) في الشطرين مع المقابلة في تأكيد شهامتهم أيضا.

ومما قد يؤخذ على الأعشى هنا استعماله أداة الشرط (إن) في قوله: (إِنْ يَضْمَنُوا جَارَةً) وهي تدل على عدم تيقن ما بعدها، ولو استعمل إذا الشرطية مكانها لكان أبلغ وأوفق لمقام المدح.

* وقريب مما سبق قول الأعشى أيضا يمدح هوذة بن علي الحنفي وقومه:

يَا هَوْذَ إِنَّك من قَوْمٍ أُولي حَسَبٍ * لَا يَفْشَلُونَ إِذَا مَا آنَسُوا فَزَعَا**
هُمُ الخَضَارِمُ إِنْ غابُوا وَإِن شَهِدُوا * وَلَا يُرَوْنَ إِلَى جَارَاتِهم خُنُعَا**

قَوْمٌ سُيوفُهُم أَمْنٌ لِجَارِهِمُ * يَوْماً إِذا ضَمَّتِ المَحْذُورةُ القَزَعا**[1]

يقول: إن قوم الممدوح أصحاب شرف وحسب، لا يضعفون إذا غشيهم من الحوادث ما يفزع، وأنه يفوز من يفزع إليهم في الملمات، وأن آثار فضلهم وعطائهم ظاهرة سواء غابوا أم حضروا، ولا يفجرون مع جاراتهم ولا يتعرضون إليهن فما يريبونهن، وأنهم يحمون جارهم بسيوفهم وقت الفزع والحرب.

وكما هو واضح أن الشاعر وصف قوم الممدوح بصفات كثيرة لكن ما يهمنا هنا هو الحديث عن الجارة في قوله: (وَلَا يُرَوْنَ إِلَى جَارَاتِهم خُنُعَا)، حيث جعل الشاعر عفتهم عن جاراتهم أحد أسباب استحقاقهم المدح.

وتقديم هذا الوصف لهم على وصفهم بنصرة الجار في البيت التالي اهتمام وعناية بهذا الوصف، لما له من وقع طيب في نفس الممدوح.

وبناء الفعل (يُرَوْنَ) لغير الفاعل وعدم تسليطه على فاعل معين مما يوسع دائرة نفي الرؤية؛ أي أنه لا يمكن لأي أحد أن يراهم على هيئة مريبة مع جاراتهم، وهذا أوفق لمقام المدح.

وجمع الجارات مبالغة في عفتهم ونزاهتهم؛ حيث لا يتعرضون لكل من ينطبق عليها وصف الجارة وإن بعدت.

* وقريب منه قول الحطيئة يمدح بني كليب[2]، وكان قد جاورهم فحمد جوارهم فيقول:

---

١ – ديوان الأعشى: صـ١٠٧. والخِضْرَمُ بالكسر: الكثير العطية. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية خضرم– (٥/ ١٩١٤). والخَانِعُ: المُرِيبُ الفَاجِرُ، كَمَا فِي الصّحاح. وَقَالَ اللَّيْثُ: الخَنْع: الفُجُورُ، تَقُولُ: قَدْ خَنَعَ إِلَيْهَا، كمَنَعَ، أَيْ أَتاهَا لِلْفُجُورِ، وكذلِكَ الخُنُوعُ، وقِيلَ: أَصْغَي إِلَيْهَا. وقالَ أَيْضاً: الخَنْعَةُ: الفَجْرَةُ. تاج العروس (خ ن ع) (٢٠/ ٥٣١)، والمحذورة: الداهية التي تحذر والحرب، والقزع: التفرق.

٢ – نقل ابن رشيق قول أبي عبيدة أنه (لم يمدح أحد قط بني كليب غير الحطيئة). ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق، (٢/ ١٨٤)، ت/محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر/ دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ /١٩٨١ م.

لنِعْمَ الحيُّ حَيُّ بني كُلَيْبٍ* إذا ما أوقَدُوا فَوْقَ اليَفاعِ**
ونِعْمَ الحيُّ حيُّ بني كُلَيْبٍ * إذا اختلَطَ الدَّواعِي بالدَّواعِي**
وليس الجارُ جارَ بني كُلَيْبٍ * بِمُقْصى في المحلِّ ولا المُضَاعِ**
هم صَنَعٌ لجارِهم ولَيْسَتْ * يدُ الخرقاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّناعِ**
وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ * وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أُنُفَ الْقِصَاعِ**[1]

فقد وصفهم بحسن الجوار، وأن الجار يكون واحدا منهم، وأنه لا يُهضم حقه ما دام مجاورا لهم، وفي لمحة خاطفة وسط الحديث عما يفعلونه مع جارهم يذكر حرمة الجارة عليهم، فلا يتطلعون إليها، ثم يعود مرة أخرى إلى إكرام الجار، حيث يكون لجارهم الأولوية في الإطعام والإكرام.

وموطن الشاهد الشطر الأول من البيت الأخير (وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ)، والتعبير بصيغة الحرمة مما يؤكد عفتهم ونزاهتهم؛ فالشيء حين يتعلق بالحلال والحرام يكتسب قدسية تعين على اجتنابه، ساعده مضارعية الفعل (يَحْرُمُ) دلالة على تجدد الحرمة تجددا يشي بالاستمرار، فهم يحافظون على جاراتهم في كل الأوقات.

ومما يزيد في تأكيد عفتهم الكناية عن النكاح بالسر وإضافته إلى الجارة حفاظا عليها من أن يضاف إليها لفظ يحمل معنى يسيء إليها، وقد كثر استعمال الشعراء لهذه الكناية في الحديث عن الجارة.

* ومنه قوله أيضا يمدح آل لأي:

---

١ - ديوان الحطيئة، شرح ابن السكيت، دراسة وتبويب د/ مفيد محمد قمحة، صـ١٢٧، نشر/ دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. والخرقاء: التي لا تحسن العمل، والصَّناع: المرأة الحاذقة بالعمل، والرجل: صَنَع، وأُنُف القصاع: أوله، أي يبدأون بجارهم ولا يؤكل منها قبله، يقال: كأس أنف: لم يشرب منها، وروضة أنف: لم تُرْع.

فما تَتَّامُ جَارَةُ آلِ لأْيٍ * ولكنْ يَضْمَنُونَ لها قِرَاها**[1]

يقول: إن جارتهم لا تحتاج أن تذبح تيمتها (شَاتَهَا)، لأنهم يضمنون لها كفايتها من القِرى فهي مستغنية عن ذبح تيمتها.

والتعبير بالمضارع (يَضْمَنُونَ) يدل على تجدد هذا الفعل منهم مما يؤكد إكرامهم لجارتهم، وإسناده إلى واو الجماعة مشعر بأنهم جميعا يقومون بهذا الفعل دون أن يقتصر على أحدهم أو بعضهم؛ مما يدل على شدة كرمهم ووفائهم لجارتهم.

وإيثار التعبير بصيغة القِرَى على الإطعام في قوله: (ولكنْ يَضْمَنُونَ لها قِرَاها)، لأن القِرى أعم يشمل كل أنواع الإكرام ومنها الإطعام، فكان التعبير به متوافقا مع مقام المدح.

* ومن هذا النوع قول حاتم يمدح بني زياد بن عبدالله من بني عبس، وكان قد جاورهم في زمن الفساد فأحسنوا جواره؛ فمدحهم بقصيدة مطلعها:

لَعَمْرُكَ مَا أَضَاعَ بَنُوا زِيَادٍ * ذَمَارَ أَبِيهِمُ فِيمَ يَضِيعُ**[2]

وفيها:

وَجَارَتُهُم حَصَانٌ مَا تُزَنَّى * وَطَاعِمَةُ الشِّتَاءِ فَمَا تَجُوعُ**

يقول: إن جارة بني زياد في حماية ومنعة، لا يمكن لأحد أن يقذفها بالزنا لعفتها وقوة حمايتهم لها، وأنها مطعومة خاصة في زمن الشتاء حيث الحاجة إلى الطعام أكثر مع صعوبة الحصول عليه.

---

١ – ديوان الحطيئة: صـ ٩٧.والتتام: تقول منه: اتَّام الرجل يتَّام اتياما إذا ذبح تيمته. قال أبو الهيثم: الاتيام أن يشتهي القوم اللحم فيذبحوا شاة من الغنم، فتلك يقال لها التيمة تذبح من غير مرض. لسان العرب– تيم– (١٢/ ٧٦).

٢ – ديوان حاتم الطائي: صـ٢١٠. والمرأة الحصان: العفيفة ما تقذف بالزنا، وزمن الفساد: هو الزمن الذي احتربت فيه قبيلتا جديلة وثعل.

وقد وصف الشاعر جارة هؤلاء القوم بوصفين يحمل كل منهما المعنى الذي يحمله الآخر؛ فإن معنى (الحَصَان): العفيفة التي لا تُقذف بالزنا، ويمكن أن يكون المراد به هنا: المحصَّنة التي لا يقدر أحد على التعرض لها لقوة حماية هؤلاء القوم لها، وهذا هو المعنى نفسه الذي تحمله صيغة (ما تُزنَّي)، ولا شك أن المعنى الواحد حين يأتي مدلولا عليه بلفظين مختلفين يكون أقوى في ثبوته وتأكيده؛ مما يبالغ في شدة حمايتهم لجارتهم.

والتعبير باسم الفاعل (طَاعِمَةُ) مكان اسم المفعول (مطعومة) مجاز عقلي علاقته المفعولية؛ فالحقيقة أن جارة هؤلاء القوم مطعومة لا طاعمة، لكن الشاعر أسند ما هو من حق اسم المفعول إلى اسم الفاعل ليجعلها في صورة الفاعل للإطعام وليس من يُقدَّم له الطعام تكريما لها؛ وإعلاءً لشأنها حتى لا تكون وهي بجوارهم في صورة الآخذة العالة على غيرها؛ مما يبرز قوة الحماية لها حتى في ظاهر الألفاظ، وهذا هو سر روعة المجاز هنا، فضلا عن أن مثل هذه الأساليب المجازية (تثير في النفس خيالا طريفا، من حيث نرى فيها الأحداث، والأفعال مضافة إلى غير فاعليها المألوفة في الوجود، فالسيوف تحمي والخروق تسقي، والنهار يصوم والليل يقوم، وهذا يمتعنا بطرف من الخيال)[1].

وكان يمكن أن يفسر اسم الفاعل على حقيقته بأنها تطعم الناس في وقت الشتاء؛ لأن هؤلاء القوم يكرمونها ويغدقون عليها لدرجة أن الطعام يفيض عن حاجتها فتطعم من حولها- وكان هذا أقوى في المدح- لولا أنه ختم البيت بالنفي (فَمَا تَجُوعُ) فتعيَّن المجاز.

وتقييد الطعام بالشتاء إعلاء لشأن هؤلاء القوم؛ حيث يطعمونها في الشتاء وهو الوقت الذي يشتهي فيه الناس الطعام لصعوبة الحصول عليه في هذا الوقت، فـ(العرب تكنى بالشتوات عن المجاعات والشدائد والأزمات، لأنها أكثر

١ - خصائص التراكيب د/ محمد أبو موسى: صـ: ١٤٥،١٤٦.

ما تكون في ذلك الزمن)[1]، فإذا كانوا يطعمونها في هذا الوقت فهم في غيره أكثر إطعاما وأشد إكراما؛ مما يبالغ في إكرامهم لجارتهم وحفاظهم عليها.

وكما فعل الشاعر في الشطر الأول حين أورد لفظان يحملان المعنى نفسه، فقد جاء في الشطر الثاني بلفظين أحدهما مثبت (طَاعِمَةُ)، والآخر منفي (فَمَا تَجُوعُ)، يؤكدان معنى واحدا أيضا هو كفايتهم لها، وهذا تأكيد قوي يفيد المبالغة في إثبات الكرم لهؤلاء القوم مع جارتهم.

وهكذا كان المدح بحماية الجارة وإكرامها مظهرا من المظاهر التي اعتمد عليها بعض الشعراء لإبراز فضائل ممدوحيهم، وكان مدح قوم الممدوح بحماية الجارة أكثر من مدح الممدوح نفسه بهذه الصفة؛ لما ذكرته آنفا.

۞۞۞۞۞

١ – سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري الأندلسي، ت/ عبد العزيز الميمني،(١/ ٧٧٣)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

المطلب الثاني

الرثاء بحماية الجارة

اعتمد قليل من الشعراء في رثائهم على وصف المرثي بحماية الجارة، حيث ورد هذا الوصف بقلَّة في الرثاء؛ ولعل ذلك لأن معظم من تناول هذا الغرض كان يذكر للمرثي أوصافا عامة تبين عموم نفعه للناس جميعا دون قصرها على أفراد بعينهم، ولا يتعرضون لهذه الأمور الخاصة إلا في أضيق الحدود، حين يستقصي الشاعر ويسترسل في تعداد أوصاف من يرثيه، ولا يكون ذلك إلا إذا كان هذا الشعر متعلقا بأقرب الأقربين؛ ولذلك لم أجد لهذا الوصف في فن الرثاء إلا خمسة شواهد فقط كلها في رثاء الأخ.

* ومن هذا النوع قول لبيد يرثي أخاه أربدا:

فَيَحمَدُ قِدرَ أَربَدَ مَن عَراها * إِذا ما ذُمَّ أَربابُ اللِحامِ**

وَجارَتُهُ إِذا حَلَّت إِلَيهِ * لَها نَفَلٌ وَحَظٌّ في السَنامِ**

فَإِن تَقعُد فَمُكرَمَةٌ حَصانٌ * وَإِن تَظعَن فَمُحسِنَةُ الكَلامِ**[1]

حيث يصفه بالكرم في زمن الجدب والقحط، وأنه يكرم جارته ويحافظ عليها إن هي ظلت في جواره، حتى إنها حين تفارق جواره يظل لسانها يلهج بالثناء عليه.

والشاعر في هذه الأبيات يتخذ من إكرام الجارة دليلا على كرم أخيه ومروءته، وقد جعل الشاعر لجارة أخيه نوعين من أنواع الإكرام:

الأول: مادي تمثل في تقديم لحم السنام لها، وهو أفضل أنواع اللحم في الحيوان، وذلك قوله (لَها نَفَلٌ وَحَظٌّ في السَنامِ)، وهو كناية عن علو منزلة الجارة عنده؛ حيث يتخير لها أفضل أنواع اللحم تأكيدا لشدة إكرامها، وتقديم

---

١ - ديوان لبيد بن ربيعة العامري، صـ ٢٠١، دار صادر- بيروت. وعراها: أتاها طالبا خيرها، اللحام: جمع لحم، النفل: العطية، الحصان: العفيفة، محسنة الكلام: تثني على أربد ثناء حسنا.

الجار والمجرور (لَها) يدل على الاختصاص، أي أن اللحم لا يكون إلا لها؛ مما يؤكد شدة الإكرام للجارة.

وإمعانا من الشاعر في إثبات قوة الكرم لأخيه لم يجعل لجارته نَفَل ومعناه العطاء فقط، وإنما عطف عليه الحظ، فجعل لها حظا أي نصيبا مثلهم، ثم هي تزيد عليهم بأن يكون لها نفل أي زيادة في العطاء.

واصطفاء التعبير بصيغة الحظ دون النصيب؛ لأن "النصيب يكون في المحبوب والمكروه يقال وفاه الله نصيبه من النعيم أو من العذاب، ولا يقال حظه من العذاب إلا على استعارة بعيدة؛ لأن أصل الحظ هو ما يحظه الله- تعالى- للعبد من الخير، والنصيب ما نصب له لينالـه سواء كان محبوبا أو مكروها، ويجوز أن يقال الحظ اسم لما يرتفع به المحظوظ؛ ولهذا يذكر على جهة المدح فيقال لفلان حظ وهو محظوظ، والنصيب ما يصيب الإنسان من مقاسمة سواء ارتفع به شأنه أم لا؛ ولهذا يقال لفلان حظ في التجارة، ولا يقال له نصيب فيها لأن الربح الذي يناله فيها ليس عن مقاسمة"[1]، هذا فضلا عن أن الحظ قد يكون الجملة كلها[2]؛ مما يدل على المبالغة في إكرامه للجارة.

الثاني: إكرام معنوي يتمثل في المحافظة على عفتها وحمايتها وهي بجوار الممدوح، (فَإِن تَقعُد فَمُكرَمَةٌ حَصانٌ)، أي أنها ما دامت في جواره فهي محمية مكرمة لا يستطيع أحد أن يعتدي عليها.

ويختم الشاعر الأبيات بدليل يؤكد هذه الأوصاف لأخيه؛ حيث تشهد له الجارة بعد أن تفارق جواره، فتظل تثني عليه ثناء حسنا؛ مما يؤكد شدة إكرامه لها.

---

١ - الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ت/ محمد إبراهيم سليم، صـ ١٦٥، نشر/ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

٢ - ينظر: السابق- الصفحة.

وقد أبرز الطباق بين (تَقعُد و تَظعَن) شدة حماية أربد لجارته، مما يجعلها لا تنسى هذا الجوار بعد الرحيل عنه، وتظل تذكر فضله ومروءته، وهذا دليل على سعة الكرم مع الجارة وكمال المروءة التي تربى عليها أخوه.

– ومن ذلك قول أعشى باهلة[1] يرثي أخاه لأمه المنتشر بن وهب الباهلي، وكان فارسا مغوارا من الرؤساء في الجاهلية بقصيدة مطلعها:

إِنّي أَتَتْنِي لِسَان لَا أُسَرُّ بِهَا * مِن عُلُو لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَر**[2]

ومنها:

لَا يَهْتِكُ السّتْر عَن أُنْثَى يُطَالِعُهَا * وَلَا يَشُدُّ إِلَى جَارَاتِهِ النّظَر**

فالمرثي عفيف شريف لا يهتك ستر النساء عامة، ولا يتبع نظره إلى جارته حفاظا عليها.

وأبرز ما في البيت من ألوان بلاغية ذكر الخاص بعد العام، حيث نفي عن أخيه في الشطر الأول هتك أستار النساء عامة وجارته منهم، ثم خصها في الشطر الثاني بمزيد من الحماية حيث لا يتطلع إليها ولا يتبعها نظره، ولا يخفى ما فيه من تأكيد ومزيد اهتمام، كما أنه خص جارته دون بقية النساء بأنه لا يتبعها نظره فضلا عن عدم هتك سترها؛ مما يبرز قوة محافظته عليها وزيادتها عن باقي النساء.

وتآزر مع ذكر الخاص بعد العام في تأكيد عفته وحمايته لجارته تكرار النفي في شطري البيت، و جمع الجارات، والتعبير بلفظ (الأنثى) الذي يشمل الكبيرة والصغيرة؛ والتعبير بالمضارع (يهتك، يَشُدُّ)؛ مما يدل على كمال العفة.

---

١ – أَعشى باهِلَة: هو عامر بن الحارث بن رياح الباهلي، من همدان: شاعر جاهلي. يكنى (أبا قحفان) أشهر شعره رائية له، في رثاء أخيه لأمه (المنتشر بن وهب) أوردها البغدادي برمتها. وقيل: اسمه عمر. . الأعلام للزركلي (٣/ ٢٥٠).

٢ – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، ت/ عبد السلام محمد هارون، (١/ ١٩١)، نشر/ مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

وتتأنق الكناية في قوله (وَلَا يَشُدُّ إِلَى جَارَاتِهِ النّظَر) في تأكيد العفة للمرثي بإيراد الدليل عليها وهو عدم إتباع جاراته بالنظر حين يراهن.

* وقريب منه قول الأبيرد بن المعذّر الرّياحي يرثي أخاه بريدا في قصيدة مطلعها:

تَطَاوَلَ لَيْلِى لَمْ أَنَمْهُ تَقَلُّبا * كَأَنَّ فِرَاشِي حَالَ مِنْ دُونِهِ الجَمْرُ**(١)

وفيها يقول:

وَإِنْ جَارَةٌ حَلَّتْ إِلَيْهِ وَفَى لَهَا * فَبَاتَتْ وَلَمْ يُهْتَكْ لِجَارَتِهِ سِتْرُ**

عَفِيْفٌ عَنِ السَّوءَاتِ مَا التَبَسْتَ بِهِ * صَلِيْبٌ فَمَا يَلفَى لِعُودٍ لَهُ كَسْرُ**

والمعنى: أنه كان عفيفا طاهر الذيل إن أقامت جارته عنده ولجأت إليه كان وفيا لها، وكان بيته مأمنها تبيت عنده ولا يهتك سترها ولا يعتدى على عرضها.

وإيراد المعنى في سياق أسلوب الشرط تأكيد له، فإنه بمجرد تحقق حلول الجارة عنده يكون الوفاء لها.

وتنكير جارة وما يدل عليه من عموم إشارة إلى عموم عفته، وشمول طهارته لأي جارة تلجأ إليه.

ومضارعية الفعل (يُهْتَكْ) دلالة على تجدد عفته لكل جارة تلجأ إليه تجددا يشي بالاستمرار، مما يدل على لزوم العفة له. وبناؤه لغير الفاعل يضفي على النفي طابع العموم حيث لا يحدد فاعلا بعينه، فيكون المعنى أن جارته لا يقدر أحد أي أحد أن يهتك سترها ما دامت عنده؛ مما يدل على قوة حمايته لها.

وتقديم الجار والمجرور (لِجَارَتِهِ) تخصيص لجارته بالحماية والمنعة.

---

١ – العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، (٣/ ٢٢٧)، نشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

والتركيب (فَبَاتَتْ وَلَمْ يُهْتَكْ لِجَارَتِهِ سِتْرُ) كناية عن عفته ونزاهته؛ حيث تبيت عنده الجارة وما يكشف عنها سترها، وهذا مؤكد قوي لعفته ومروءته.

* وإذا كان أخو الأعشى وأخو الأبيرد في الموضعين السابقين لا يهتكون ستر جاراتهم ولا يتطلعون إليهن، فإن صخرا أخا الخنساء لم تكن تراه الجارة أصلا بساحتها خاصة حين لا يكون بعلها موجودا، وذلك قولها في مرثيتها المشهورة:

لَمْ تَرَه جارَةٌ يَمْشِي بِسَاحَتِهَا * لريبةٍ حينَ يُخلي بيتهُ الجارُ**[1].

فقد كان صخر يتحاشى أن يظهر بساحة جارته في غياب زوجها حتى لا يكون موضع ريبة وتهمة، وهذا يدل على عفته وشرفه ومروءته.

وقد تكرر الفعل المضارع ثلاث مرات في البيت (ترهْ، يمشي، يُخلي)؛ للدلالة على تجدد هذه الأفعال منه، مما يؤكد ملازمة العفة والشرف له.

وتنكير (جارة) للعموم، أي أن أي جارة له لا تراه يمشي بساحتها؛ مما يدل على شرفه وعفته أيضا.

والتعبير (لَمْ تَرَه جارَةٌ يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لريبةٍ) كناية عن عفته وكمال مروءته، والكناية هنا أبلغ من التصريح لإتيانها بالدليل على عفة صخر متمثلا في عدم المشي بساحة جارته، ولا شك أن إيراد الشيء ومعه دليله أقوى في إثباته من إيراده مجردا عنه.

وتكتمل المبالغة في إثبات العفة لصخر حيث لم تنفِ عنه المشي إلى الجارة نفسها، أو المشي إلى بيتها، وإنما نفت عنه المشي بساحتها، وهو الموضع المتسع أمام البيت[2] وغالبا ما يكون طريقا للمارة، فإذا كان صخر لا

---

١ - ديوان الخنساء، شرح/ حمدُو طمَّاس صـ ٤٧، نشر/ دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢ - ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، (س وح) (١/ ٢٩٤) نشر/ المكتبة العلمية - بيروت.

يمشي من أمام بيتها في غياب زوجها، فمن باب أولى أنه لا يمشي إليها نفسها ولا إلى بيتها؛ مما يؤكد عفته وخوفه على جارته أن يتناولها أحد بسوء.

* وقد كررت الخنساء قريبا من هذا المعنى في قصيدة أخرى في رثاء صخر أيضا مطلعها:

عَيْنَيَّ جُودَا بِدَمْعٍ مِنْكُمَا جُودَا * جُودَا وَلا تَعِدَا فِي اليَوْمِ مَوْعُودَا**[1]

وفيها تقول:

وَلا يَقُومُ إِلَى ابْنِ العَمِّ يَشْتِمُهُ * وَلَا يَدِبُّ إِلَى الجَارَاتِ تَخْوِيدَا**[2]

وقد وصفته في هذه القصيدة بعدة أوصاف منها أنه (لا يَدِبُّ إِلَى الجَارَاتِ تَخْوِيدَا) أي لا يتطلع إليهن ولا يمشي إليهن سريعا فعل المرتاب المعتدي، وإنما يذهب إليهن إن كان يقضي لهن حاجة في تؤدة وتأنٍ حتى لا يشك فيه أحد.

وقد اعتمدت الخنساء في إثبات عفة صخر على الكناية أيضا؛ فقولها (لا يَدِبُّ إِلَى الجَارَاتِ تَخْوِيدَا) كناية عن عفته ومروءته.

وقد يبدو للناظر تعارض هذا البيت مع البيت السابق الذي نفت فيه الخنساء رؤية جارة صخر له يمشي بساحتها، فكيف بها هنا تنفي الإسراع عند الذهاب إليها؟؛ مما يدل على أنه يذهب إليها ولكن ليس على هذه الهيئة المنفية عنه.

والجواب عن ذلك أنها في البيت السابق نفت رؤية الجارة له يمشي بساحتها وقت غياب زوجها، أما عند حضور الزوج فلا مانع من الذهاب إلى بيته حيث الريبة غير موجودة، وعلى هذا فلا تعارض بين البيتين.

وبعد، فهذه خمسة شواهد من الشعر في تلك الفترة في الرثاء بحماية الجارة، شاهد على لسان لبيد وشاهد في شعر أعشى باهلة وشاهد على لسان

---

١ - ديوان الخنساء: صـ٣٧.

٢ - السابق: صـ ٣٨. والتخويد: السير السريع، يقال: خوَّد في المشي إذا أسرع.

الأبيرد الرياحي وشاهدان في رثاء الخنساء لصخر، وكلها في رثاء الأخ، وكلها متقاربة المعنى، ركز فيها الشعراء على الوصف بعدم هتك ستر الجارة، والتطلع إليها، واستعمل فيها الشعراء ألونا بلاغية كثيرة كان أبرزها الكناية؛ حيث كان لها حضور في الشواهد الخمسة؛ وذلك لما لها من دور رائد في مثل هذه المعاني بإيرادها الأدلة على إثباتها، وإن كنت أرى أن أقوى المعاني في الشواهد كلها ما ذكره الأبيرد في أخيه وهو قوله:

وَإِنْ جَارَةٌ حَلَّتْ إِلَيْهِ وَفَى لَهَا * فَبَاتَتْ وَلَمْ يُهْتَكْ لِجَارَتِهِ سِتْرُ**

فكون الجارة تلجأ إليه وتبيت عنده وتكون تحت قبضته ولا يتعرض لها، ولا يقدر أحد أن يقترب منها فيهتك سترها، فلا شك أن هذا المعنى أقوى من اختصاصها بأجود أنواع الطعام كما عند لبيد، وأقوى من نفي شد النظر إليها كما ذكر أعشى باهلة، وأقوى كذلك من نفي رؤية الجارة لصخر يمشي بساحتها عند غياب زوجها، أو نفي السرعة عنه عند الذهاب إليها في حضرة زوجها كما ذكرت الخنساء.

المبحث الرابع

بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق الهجاء

مثلما كان الفخر بالمحافظة على الجارة وحمايتها من أعلى مظاهر الفخر بالمروءة والالتزام بالأخلاق الفاضلة عند العرب، فإن التعدي على حرمة الجارة وعدم مراعاة حقوقها كان من أقذع أنواع الهجاء عند العربي الأصيل، حيث ينبذ المجتمع من يتعدى على جارته، ولا يغتفر له هذا الجرم ولا ينساه له.

ولذلك اتخذه الشعراء سلاحا قويا من أمضى أسلحتهم يُجهزون به على خصمهم دون هوادة؛ لما يعرفون من فاعليته في القضاء على الخصم وإهلاكه إلى غير رجعة.

فالعربي الأصيل "يعد التهاون عار الأبد والفضيحة التي لا تغتفر عندما يعير الرجل بجارته، وتضعف نفسه عن مقاومة ميله أو انحراف سلوكه، حتى لو كان الهجاء كاذبا أو مدعى، فإنها تصبح مؤلمة مرفوضة ينظر إلى ما يقوله بكل استهجان وتقزز لا يقبله الشرف الكريم ولا يوصف به غير اللئيم، وليكن بعد ذلك ما يكون في نظر الشاعر، إنما الغرض الذي يريده ويسعى إليه هو أن يجهز على خصمه ويقضي على رمق الحياة المعنوية فيه قبل أن يرد إليه ضربة قاضية، وليس أسرع من القضاء على الخصم غير أن يجعل شرف الجارة، جارة الخصم في خطر منه قبل أن تجب فروض الوفاء لها من غيره"[١].

والحقيقة أن واقعنا يصدق ذلك فلو أن إنسانا رُمِي بالتعدي على جارته ولو كذبا تجنبه الناس، وتحاشوا جواره، فضلا عن أنهم لن ينسوا ما قيل فيه، مما يدل على مكانة الجارة عبر العصور المختلفة.

وحسبك أن تعلم اتفاق النقاد على أن أهجى بيت قالته العرب كان الهجاء فيه بعدم مراعاة حقوق الجارة كما سأوضح بعد قليل.

---

١ - حق الجارة في الشعر القديم: صـ ٤٠١.

وقد ورد الهجاء بعدم مراعاة حقوق الجارة كثيرا في الشعر العربي، وتنوعت صوره، ففي بعض الأحيان يكون الهجاء بعدم إكرام الجارة وإطعامها وقت الحاجة، وفي أحيان أخرى يكون الهجاء بالتعدي عليها والتطلع إليها وفضحها، وفي بعض الأحيان يكون الهجاء بسبب عدم حمايتها والذود عنها، كل هذه كانت مظاهر للهجاء، وأسبابا تؤدي إلى النيل من المهجو والحط من منزلته.

ومن ذلك قول الأعشى يهجو علقمة بن علاثة وقومه من قصيدة مطلعها:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَمْسَى مِنَ الحَيِّ شَاخِصًا **لَقَدْ نَالَ خَيْصًا مِنْ عُفَيْرَةَ خَائِصًا[1]

وفيها يقول:

تَبِيتُونَ فِي المَشْتَى مِلاءً بُطُونُكُمْ * وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا**[2]

يعيب الشاعر على علقمة وقومه مبيتهم شباعا في زمن الحاجة والجوع، وجاراتهم جياعا يظهر عليهن الضعف والهزال.

وقد عرض الشاعر معناه في سياق المقابلة بين شطري البيت، حيث تبرز المقابلة حالتين مختلفتين: حالة علقمة وقومه وهم مطمئنون هانئون قد امتلأت بطونهم بالطعام، وحالة جاراتهم يكابدن الجوع وألمه، مما يبرز خسة هؤلاء القوم وينفي عنهم المروءة التي يشتهر بها العربي الأصيل.

والتعبير بصيغة المبيت وتكرارها في شطري البيت مبالغة في ذمهم وحقارتهم؛ فالإنسان حينما يأوِي إلى فراشه للمبيت يكون قد انقطع رجاؤه أن يأتيه شيء؛ مما يشعر بأن جارات هؤلاء القوم فقدن الأمل في أن يكون من مثل هؤلاء الأخسَّاء إسعاف فبتن على الجوع والألم؛ وفي هذا زيادة في ذم

---

١ – ديوان الأعشى: صـ ١٩.

٢ – ديوان الأعشى: صـ ١٩. والمشتى: المكان يقام فيه زمن الشتاء، والغرثى: الجوعى، والخمائص: الضامرة البطون جوعا.

علقمة وقومه، وهذا المعنى لم نكن نجده لو أنه عبر بـ (تصبحون) مثلا لأنها تبقي باب الأمل مفتوحا أمام جاراتهم بقية اليوم؛ فتخفف وطأة الهجاء لهؤلاء القوم.

كما اشتمل البيت على كنايتين متقابلتين أيضا تؤكدان حقارة هؤلاء القوم، الكناية الأولى (مِلاءً بُطُونُكُمْ) كناية عن الشبع، وتبدو روعة الكناية هنا في إبراز مدى خسَّتهم؛ حيث تُظهر أنهم أكلوا حتى امتلأت بطونهم ولم يفكروا في جاراتهم يتضورن جوعا، أي أنهم أكلوا فوق حاجتهم، وهذه مبالغة في ذمهم.

والكناية الثانية (خَمَائِصَا) كناية عن شدة الجوع وطول زمنه؛ حيث لا يظهر أثر الجوع بضمور البطن إلا بعد أن يقاسيه الإنسان زمنا ثم يبدو أثره على الجسم؛ مما يشعر بأن جارات هؤلاء القوم قد لازمن الجوع زمنا طويلا حتى بدا أثره عليهن، ومع ذلك لم يجدن نجدة منهم مما يبالغ في ذمهم وحقارتهم.

كما يمكن إجراء البيت على الاستفهام التقريري[1] الذي شمل البيت كله؛ ليكون أشد لذعا لهم حين يتطلب الكلام منهم جوابا يكون غاية في ذمهم وفضحهم، وكأن الشاعر يريد أن يستنطقهم وينتزع اعترافهم بالمعنى الذي يثبته لهم، كما لا يخفى ما فيه من إنكار وتوبيخ.

وقد حذف الشاعر أداة الاستفهام والتقدير (أَتَبِيتُونَ)؛ ليكون الكلام في صورة الخبر مع أن معناه الإنشاء، وفي هذا تأكيد قوي للمعنى، وقوة في الهجاء والذم؛ لأنه كأنه يخبر عن حقيقة ثابتة معروفة، كما أن حذف الأداة هنا يشعر بأن الشاعر لا يريد أن يجعل نفسه معهم في موقع المواجهة التي

---

١ – يكون الاستفهام تقريريا إذا كان المستفهم عنه مثبتا في المعنى. ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، د/ عبد العظيم المطعني٢/٥، نشر/ مكتبة وهبة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

تكون بين السائل والمسئول احتقارا لهم، فهم أحقر من أن يواجههم الشاعر ويستفهم منهم، وهذه مبالغة قوية في ذمهم وهجائهم.

وبهذا يكون الشاعر قد بلغ الغاية في ذم هؤلاء القوم، وأظهرهم في صورة يأنفها العربي الأصيل؛ ولهذا روي أنه (لمّا سمع علقمة بن علاثة هذا البيت بكى، وقال: أنحن نفعل هذا بجاراتنا! ودعا عليه، فما ظنك بشيء يبكي علاثة، وقد كان عندهم لو ضرب بالسيف ما قال حس)[١].

وقد ذكر الثعالبي اتفاق النقاد على أن هذا البيت هو أهجى بيت قالته العرب في الجاهلية[٢]. وكان يقال: "من مَدَحه الأعشى رفعه ومن هجاه وضعه، وكان يُتقي لسانه"[٣].

* وقريب من هذا قول عقيل بن علفَّة المري يهجو بنى بدر بن عَمْرو:

إِذا جَارة حَلَّتْ عَلَى الهُجْمِ لَمْ تَجِد * كَرِيمًا وَلَمْ تَعْدَمْ لَئِيمًا يَزُورُهَا**

أَلَمْ تَرَ بَدْرًا لَا تُمَانِي دِمَاءَهُمْ * دِمَاء وَلم يعْقد لِجَار مُجِيرُهَا**[٤]

يهجوهم بالتعدي على حرمة الجارة، وأنهم قوم لئام لا تكون جارتهم بمأمن منهم، وأن دماءهم رخيصة، وأنهم ليسوا أهلا لإجارة أحد أو حمايته.

وموضع الشاهد البيت الأول؛ حيث ينفي عنهم الكرامة والمنعة لجارتهم، بل إنهم يتطلعون إليها ويزورونها بغرض التعدي والاعتداء.

---

١ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لشهاب الدين التلمساني، ت/ إحسان عباس (٢/ ٤٩٨)، نشر/دار صادر- بيروت - لبنان، ط١، ١٩٦٨م.

٢ - ينظر/ لباب الآداب للثعالبي، ت/ أحمد حسن لبج، صـ ١٢٩، نشر/ دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٣ - مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، ت/ محمد محيى الدين عبد الحميد، (٢/ ٣٩٢)، نشر/ دار المعرفة - بيروت، لبنان.

٤ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، ت/محمود محمد شاكر، (٢/ ٧١٣)،نشر/ دار المدني - جدة.

وقد جاء الشاعر بهذا المعنى في سياق أسلوب الشرط تحقيقا لخسة هؤلاء القوم وتأكيد ذمهم.

واستعمال إذا في الشرط مما يبالغ في الهجاء لهم؛ حيث تدل على تيقن حدوث ما بعدها، مما يشير إلى تحقق عدم وجود الكريم فيهم لجارته، وتحقق وجود اللئام منهم.

وتنكير (جَارة) للعموم، أي أن أي جارة تحل عليهم لا تجد فيهم كريما ولا تعدم لئيما، مبالغة في ذمهم.

ويتأنق أسلوب المقابلة بين الجملتين (لم تَجِد كَرِيمًا، وَلم تعدم لئيما) في إثبات كمال خستهم ودناءتهم، حيث ينفي عنهم وجود الكرام فيهم، ويثبت لهم اللؤم والخيانة، ساعده تنكير (كريما) الذي يدل على كمال ذمهم؛ حيث لا تجد جارتهم فيهم كريما واحدا يتعهد بحمايتها منهم يمكن أن تلجأ إليه؛ مما يدل على شمول الدناءة لهم وتأصلها فيهم.

كما أن مضارعية الأفعال (تجد، تعدم، يزورها) مما يبالغ أيضا في ذمهم؛ حيث هذه الصورة متجددة منهم مع جاراتهم، مما يجعلهم أهلا للهجاء والذم.

* وها هو أوس بن حُجْر يصف بني سعد بن مالك وعوف بن مالك وعمرو بن مالك بأبشع الأوصاف فيصورهم في صورة المترقبين مجيء الليل وحلول الظلام حتى يتسللوا لجاراتهم، وأنهم لا يتحرجون في إتيان أمهاتهم وخالاتهم، فيهجوهم قائلا:

طُلْس العِشاءِ إذا مَا جَنَّ لَيْلُهُمُ! * بالمُنْدِياتِ إلَى جاراتِهم دُلُفُ**
وَالفَارِسِيَّةُ فِيهِمْ غَيْرُ مُنْكَرَةٍ * فَكُلُّهُمْ لِأَبِيهِ ضَيْزِنٌ سَلِفُ**[1]

---

١ - ديوان أوس بن حُجْر، ت/ محمد يوسف نجم، صـ٧٥، نشر/ دار صادر- بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. والأطلس: أغبر اللون، وذئبٌ أطْلسُ، وهو الذي في لونه غُبرةٌ إلى السواد. وكلُّ ما كانَ على لونه فهو أطْلَسُ. الصحاح للجوهري- طلس- (٣/=

يصفهم بسواد الوجه وأنهم يترقبون حلول الظلام ليلا حتى يتسللوا خفية إلى جاراتهم فيفضحونهن، وأنهم يأتون أمهاتهم وخالاتهم فيزاحمون آباءهم في أمهاتهم، ويكونون سلفا لهم بإتيانهم خالاتهم.

وقد اعتمد الشاعر عدة وسائط بلاغية ساعدته في تمكين المعنى، واستحقاق هؤلاء القوم للهجاء، منها:

حذف المسند إليه في أول البيت، والتقدير: هم طلس العشاء، وتكمن بلاغة الحذف هنا ليبادر إلى الوصف الذي يريده ويسلط الضوء عليه، إمعانا في ذمهم وإثبات حقارتهم.

ومما يزيد في لذع الهجاء إضافة الطلس: وهو الأغبر اللون إلى العشاء، مما يزيده غبرة وسوادا.

والشرط (إِذا مَا جَنَّ لَيْلُهُمُ) يصورهم في صورة المترقبين لمجيء الليل حتى يمارسوا خستهم وحقارتهم، وزيادة (ما) قبل فعل الشرط تأكيد له، وإضافة الليل لضميرهم يشعر بأن لهؤلاء القوم ليلا خاصا بهم يرتكبون فيه كل أنواع الفجور والموبقات يختلف عن ليل عامة الناس؛ مما يبالغ في ذمهم وهجائهم.

وقُدم الجار والمجرور (بالمُنْدِياتِ) في جواب الشرط (بالمُنْدِياتِ إِلَى جاراتِهم دُلُفُ)، ومعناها: المخزيات للتخصيص؛ إمعانا في ذمهم وحقارتهم، فهم لا يسرعون إلى جاراتهم بالليل إلا بالفضائح والمخازي.

=٩٤٤). والمنديات: المخزيات التي يعرق منها جبين صاحبها عرقا. تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي، ت/ مجموعة من المحققين،- ندا- (٤٠/ ٥٩)، نشر/ دار الهداية. والدلف: المسرعون في خفية، يقول ابن فارس: (دلف) الدال واللام والفاء أصل واحد يدل على تقدم في رفق فالدليف: المشي الرويد. يقال دلف دليفا; وهو فوق الدبيب. مقاييس اللغة (٢/ ٢٩٧).الفارسية: المجوسية، والضيزن: الذي يزاحم أباه في امرأته، سلف: يقول: الرجل منهم يأتي أمه وخالته، فهو ضيزن لأبيه بالأم وسلف له بالخالة. هامش الديوان: صـ ٧٥.

* وفي المعنى نفسه يقول أبو جلدة اليشكري[1] هاجيا يزيد بن المهلب وكان يُتهم بالنساء:

إِذَا اعْتَكَرَتْ ظَلَمَاءُ ليلٍ ونُوِّمَتْ ** عيونُ رِجَالٍ واسْتَلَذُّوا المَضَاجِعَا
سَمَا نَحْوَ جَارِ البَيتِ يَستَامُ عِرْسَه * يَزِيدُ دَبِيباً للمعاناةِ قابعَا**
وَإِنْ أَمْكَنَتْهُ جارةُ البيتِ أو رَنَتْ * إِلَيْهِ أَتاهَا بَعْدَ ذَلِكَ طَائِعَا[2]**

والمعنى: أن يزيد بن المهلب يظل منتظرا قدوم الليل حتى ينام جيرانه فيتسلل نحو بيوتهم محاولا الإلمام بزوجاتهم، ويظل ملازما المكان لا يبرحه، وإن حدث ونظرت إليه جارته أو أمكنته منها أتاها مستسلما طائعا لما هو عليه من حقارة وسوء منبت.

وقد اعتمد الشاعر على أسلوب الشرط اعتمادا رئيسا في بيان معناه، حيث تكرر أسلوب الشرط في الأبيات مرتين، وشمل الأبيات كلها، فاستغرق الشرط الأول البيتين الأولين، واستغرق الشرط الثاني البيت الثالث، وإيراد

---

١ - أبو جلدة اليشكري: هو أبو جلدة بن عبيد بن منقذ بن حجر بن عبيد الله بن مسلمة من بني جشم بن غنم من بني يشكر بن بكر بن وائل، شاعر أموي، من أهل الكوفة، كان صاحب شراب مولعاً بالخمر ينفق فيها كلّ ماله، فنشأ فقيراً صعلوكاً، وقد رحل إلى سجستان، ثمّ عاد إلى الكوفة واتّصل بالحجّاج وكان من بطانته وخواصّه وجلسائه، ثمّ إنقلب عليه وشايع محمّد بن الأشعث في حربه ضدّ الحجّاج، وكان بينه وبين زياد الأعجم تهاجي، وقد قتله الحجاج بعد هزيمة محمد بن الأشعث سنة ٨٥هـ. ينظر: تاريخ التراث العربي للدكتور/ فؤاد سزكين، نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: د/ عرفة مصطفى ، د/ سعيد عبد الرحيم، ٩٩/٣، نشر/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.

٢ - الأغاني: ١١/ ٣٠٧. واعتكر اللّيلُ إذا اختلط سوادُه والْتَبَسَ. كتاب العين للخليل بن أحمد- عكر- (١/ ١٩٦) ت/ د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، نشر/ دار ومكتبة الهلال. ويستام عرسه: يحاول الإلمام بزوجة جاره. والقابع: المقيم في المكان لا يبرحه. ورنت إليه: أدامت النظر مع سكون الطرف. لسان العرب – رنا- (١٤/ ٣٣٩).

الكلام في سياق أسلوب الشرط تأكيد للمعنى؛ حيث يدل على تحقق الجواب عند تحقق الشرط.

واستعمال أداة الشرط (إذا) في الشرط الأول مما يزيد المعنى تأكيدا؛ حيث تدل على تيقن حدوث ما بعدها، فالتعبير بها يدل على تحقق تسلل يزيد إلى بيت جاره وإغواء زوجته عندما تحل ظلمة الليل.

ومما يبالغ في خبث يزيد أيضا استيثاقه من نوم الجار واستغراقه في النوم قبل أن يتسلل نحو بيته؛ مما يدل على إصراره على تنفيذ مبتغاه وإحكام خطته للظفر بما يريد؛ مما يدل على تمرسه في الغواية وتأصلها عنده، ويدل كذلك على ضعفه وجبنه.

والتعبير بجار البيت وتكراره مرتين في الأبيات دون أن يضيف الجار إلى ضمير يزيد زيادة إهانة له؛ حيث يدل على أنه ليس أهلا للمجاورة حتى يضاف الجار إليه؛ لما يشتمل عليه من خسة ودناءة، ولما طُبع عليه من غدر وخيانة.

واستعمال أداة الشرط (إن) في البيت الأخير (وَإِنْ أَمْكَنَتْهُ جارةُ البيتِ أو رَنَت إِلَيْهِ) دلالة على أن جارته قلما تمكنه من نفسها أو تنظر إليه لخسته ودناءته، وهو مما يبالغ في لذع الهجاء له.

* ولا يغيب مثل هذا اللون من الهجاء عن بال جرير في هجاء الفرزدق، حيث كان يتفنن كل منهما للنيل من عِرض الآخر باحثا عن أشنع الأوصاف ليصرع بها الآخر، فالهجاء (يبعث الشاعر إلى البحث عن صور مرفوضة اجتماعيا، فيقدح غضبه زناد الشرر فيها، ويشعل فتيل العار فيدمغ أعداءه بسوء الأخلاق، ويصفهم بقبيح المنظر، وكأنه شاهد على ما يقوم به المهجو من سلوك الانحراف)[1].فهجا جريرُ الفرزدقَ بالتعدي على الجارة، وعدم حمايتها في موضعين:

---

١ – حق الجارة في الشعر العربي القديم:صـ٤٠٢.

الأول: قوله:

حُمَيدَةُ كانَتْ للفرزدق جارَةً * يُنادِمُ حَوطاً عِندها والمُقَطّعا**

سَأَذْكُرُ مَا لمْ تَذْكُرُوا عِنْدَ مِنْقَرٍ ***وَأُثْنِي بِعَارٍ مِنْ حُمَيْدَةَ أَشْنَعَا[1]

يهجوه بعدم حمايته لجارته حميدة، وأنه كان يجتمع عندها مع عشاقها، ولم تأخذه حمية العربي الأصيل الذي يحافظ على جارته ويحميها حتى من نفسه فضلا عن غيره، ويتوعده بأنه سيفضحه بهذا العار ويشنِّع به.

وأسلوب البيتين أسلوب خبري خفَّت فيه درجة التأكيد للدلالة على أن ما يذكره الشاعر من نقائص للفرزدق معلومة ومعروفة لا ينكرها أحد فليست بحاجة إلى مؤكدات.

وقدَّم الشاعر لمعناه بالخبر (حُمَيدَةُ كانَتْ للفرزدق جارَةً)؛ ليبرز هذا التناقض بين شطري البيت المبالغة في ذم الفرزدق، فحين أخبر جرير في مطلع الأبيات أنها كانت جارة للفرزدق توقع المخاطب أنه سيحميها ويذود عنها، فإذا به ينادم عشاقها ويحتفي بهم عندها.

---

١ - ديوان جرير: ٢/٩٠٥. وحُميدة امرأة من بني رزام بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة، وكانت امرأة معبد السليطي، فخرج إلى خراسان، فكان يُحدّث جُلساءه بجمالها، ويتشوق إليها، حتى همّ أن يعصي ويرجع، حتى وقعت في قلب حوط بن سنان، فقال لمعبد: قد بدا لي أن ألحق بالبصرة، فكتب معه معبد إلى حُميدة، فلما قدم أتاها بكتاب زوجها معبد، وقال: لا أدفعه إلا إليها. فبرزت له، فكلمها، وأوقع إليها شيئاً من أمره الذي يريد من حبه لها، فلم يزل يختلف إليها ويخدعها، حتى هربت واختبأت في رحله حولا، ثم دُلّ عليها أهلها، وقد حملت. فأتي بها عبد الرحمن بن عبيد العبشمي، وكان على شُرطة الحجاج، فرجمها في مقبرة بني شيبان. فجعل جرير الفرزدق خدنا لها، وعيّره بها، لأنها من بني مالك. وحوط بْن سنان من بني شَيْبَان، وهو الَّذِي رجمت بسببه. ينظر: شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ت/ محمد إبراهيم حور - وليد محمود خالص، ٣/ ٩٤٨، نشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط٢، ١٩٩٨م

والتعبير بالمضارع (يُنادِمُ) إشعار بتجدد هذا الفعل منه مع معشوق جارته؛ مما يبرز خسته ولؤمه.

وتكمل المبالغة في الذم والهجاء حين يجعل الفرزدق لا ينادم جارته، وإنما ينادم عشيقها (حَوطاً)، ويقيد هذه المنادمة بأنها (عِندها)، مما يجعله في صورة غاية في الدناءة والخسة؛ ولذلك يصف جرير هذا الفعل في البيت الثاني بأنه عار أشنع وأفظع من كل القبائح؛ ولذلك سيظل يهجوه به، وينال منه بسببه.

* ويأبى جرير إلا أن يثبت أن الدناءة والتجرد من المروءة لم تكن جديدة على الفرزدق، وإنما هي ميراث ورثه عن قومه؛ حيث لم تكن جارتهم تُهاب أو تُحفظ؛ دليلا على خستهم وحقارتهم، ولذلك يهجوهم جرير أيضا بقوله في موضع آخر من قصيدة مطلعها:

أَزُرْتَ دِيَارَ الحَيِّ أمْ لَا تَزُورُهَا * وأنَّى مِنَ الحَيِّ الجَمَادِ فَدُورُهَا**[1]

وفيها يقول:

بَنُو نَخِبَاتٍ لا يَفُونَ بِذِمةٍ * ولا جَارَةٌ فِيهُمْ تُهَابُ سُتُورُهَا**[2]

يصفهم بالجبن وعدم الوفاء، وأن الجارة فيهم كلأ مباح لكل أحد، لا يتحرج أحد من التعدي عليها وهتك سترها.

وقد ابتدأ الشاعر البيت بالوصف (بَنُو نَخِبَاتٍ)، أي هم قوم جبناء؛ ليكون هذا الوصف مهادا ودليلا على ما سيذكره بعد ذلك من أنهم لا يفون بذمة، ولا يحمون جاراتهم لجبنهم وخورهم.

---

١ – ديوان جرير: ٢/ ٨٧٩.

٢ – السابق: ٢/٨٨١. والنخيب: الجبان الذي لا فؤاد له، وقيل: هو الفاسد الفعل. والنخب: الجبن وضعف القلب. ، لسان العرب(نخب)، (١/ ٧٥٢).

وحذف المسند إليه ليتركز الكلام على المسند (بَنُو نَخِبَاتٍ)، إذ هو الأهم الذي يريد الشاعر إثباته لهم، فضلا عن أن المسند إليه كثيرا ما يحذف في مثل هذه المقامات.

ومما يزيد من حدة الهجاء ولذعه إثبات الجبن لآبائهم وليس لهم مباشرة، فلم يقل: هم جبناء، وإنما ألحق الجبن بآبائهم؛ ليدل على تأصله فيهم، وتوارثه جيلا بعد جيل.

وفصلت جملة (لا يَفُونَ بِذِمةٍ) عما قبلها للاستئناف البياني، حيث أثارت الجملة قبلها سؤالا مفاده: لماذا هم جبناء؟ أو لماذا تصفهم بهذا الوصف؟ فيكون الجواب: لأنهم لا يفون بذمة...الخ، ولا يخفى ما للفصل هنا من إيجاز بحذف السؤال وإغناء السائل عن أن يسأل.

ووصلت جملة (ولا جَارَةٌ فِيهُمْ تُهَابُ سُتُورُهَا) بما قبلها للتوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظا ومعنى فوصل بينهما.

وتبدو بلاغة الوصل هنا في إبراز أكثر من دليل على جبنهم وضعفهم، وعدم الاقتصار على دليل واحد، فهم يجمعون بين عدم الوفاء وبين عدم حماية الجارة، وهذا أبلغ وآكد في ذمهم.

وتنكير جارة لإفادة العموم، أي أن أي جارة تحل فيهم تكون غرضا لسهام الماكرين، وهذا أقوى في الهجاء والذم.

وجملة (ولا جَارَةٌ فِيهُمْ تُهَابُ سُتُورُهَا) كناية عن جبنهم وكمال ضعفهم، حيث لا يهابهم أحد فيتجرأ على جاراتهم.

والسر في بلاغة الكناية أنها عرضت جبنهم مقرونا بدليله مشفوعا ببرهانه، وهذا أقوى في إثباته.

وتقديم الجار والمجرور (فيهم) وما يدل عليه من تخصيص زيادة تحقير لهم؛ فإن عدم الهيبة مختص بجارتهم هم دون غيرهم، وهذه مبالغة قوية في تقبيحهم، وإظهار مفاسدهم، وأنهم بلغوا في الضعف مبلغا لم ينحدر إليه أحد.

وهكذا كان الهجاء بالتعدي على الجارة وعدم رعاية حقوقها سلاحا من

أقوى الأسلحة التي استعملها الشعراء في مقامات الذم والهجاء، لما يدركون من خطورته على المهجو وسرعة قضائه عليه؛ مما يبين مكانة الجارة عندهم وضرورة حمايتها والمحافظة عليها حتى لا يكون الإنسان غرضا لسهام لا يستطيع دفعها أو الإفلات منها.

الخاتمة

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يأتي:

١- لم يتناول معظم الشعراء الجارة بحديث يخصها، وإنما تحدثوا عنها- إن هم تحدثوا- في ثنايا حديثهم عن الجار؛ مما جعل الحديث عن الجارة قليلا في أشعارهم.

٢- كان العصر الجاهلي أكثر العصور التي تحدث فيها الشعراء عن الجارة، وامتد هذا الحديث في عصر صدر الإسلام وبني أمية ثم ندر في العصر العباسي؛ ولعل ذلك لأن العصر الجاهلي كانت تكثر فيه المفاخرات والمبارزات الشعرية بين الشعراء، وكان التفاخر بحماية الجارة أقوي مظاهر الفخر بالمروءة والشهامة، ولما جاء الإسلام أصبحت حماية المرأة عامة من ثوابت الدين فضلا عن الجارة؛ فخفَّ الحديث عنها بعد العصر الجاهلي.

٣- تعددت دوافع حماية الشعراء للجارة، وكان أبرز هذه الدوافع حرمة الجارة عندهم، وكون الدفاع عنها عقيدة راسخة ملزمة، وكان هذا الدافع أكثر الدوافع ورودا في كلامهم، تلاه دافع المروءة والشهامة التي تربوا عليها، ثم الإقرار بأن الدفاع عن الجارة ميراث ورثوه عن آبائهم وأجدادهم.

٤- احتل التفاخر بحماية الجارة أكثر المواطن التي تحدث فيها الشعراء عن الجارة؛ لأن هذا الوصف يَنُمُّ عن أوصاف أخرى كثيرة كالوفاء والكرم والقوة وغير ذلك؛ فكان التفاخر به من أقوى وأجمع مظاهر الفخر؛ كما أنهم في المدح يركزون على وصف الممدوح بالصفات التي تهزه للعطاء فيصفونه بالكرم مثلا ولا يركزون على حماية الجارة، وفي الرثاء يركزون على الصفات التي تبرز عموم نفع المرثي؛ مما جعل التفاخر بحماية الجارة يستأثر بالنصيب الأكبر في حديثهم عن الجارة.

٥- كان أكثر مواطن المدح بحماية الجارة متعلقا بالأقوام وليس بالأشخاص.

٦- اعتمد قليل من الشعراء في رثائهم على وصف المرثي بحماية الجارة، حيث ورد هذا الوصف بقلة في الرثاء؛ ولعل ذلك لأن معظم من تناول هذا الغرض

كان يذكر للمرثي أوصافا عامة تبين عموم نفعه للناس جميعا دون قصرها على أفراد بعينهم، ولا يتعرضون لهذه الأمور الخاصة إلا في أضيق الحدود، حين يستقصي الشاعر ويسترسل في تعداد أوصاف من يرثيه، ولا يكون ذلك إلا إذا كان هذا الشعر في أقرب الأقربين؛ ولذلك لم أجد لهذا الوصف في فن الرثاء إلا خمسة شواهد فقط كلها في رثاء الأخ.

٧- كان الهجاء بخذلان الجارة والتعدي عليها سلاحا من أمضي الأسلحة التي يصوِّبها الشاعر لمن يهجوه؛ فيقضي عليه ولو كان الادعاء كاذبا؛ مما يبرز حرمة الجارة ومكانتها عند العرب؛ حيث لا يقبلون التعدي عليها ولو على سبيل الكذب والادعاء.

٨- غلب الأسلوب الخبري في معظم أحاديث الشعراء عن الجارة؛ لأنهم يخبرون عن حقائق موجودة ويبرزونها للمخاطب أمورا ثابتة معترفا بها.

٩- خَفَّت درجة التأكيد في بعض أحاديث الشعراء عن الجارة؛ لإشعار القارئ بأن ما يخبر به حقائق معروفة يسلِّم بها الجميع، فليست بحاجة إلى ما يؤكدها.

١٠- كان حديث الشعراء عن الجارة في تلك الفترة مغلفا بقدر كبير من الحياء؛ ولذلك كثر استعمالهم للكناية؛ فهي المناسبة للستر حيث تساعد الشعراء على إبراز قوة حمايتهم لجاراتهم وسترهم لهن.

١١- كثر كذلك التنكير وما يفيده من عموم في حديث الشعراء عن الجارة؛ ليبرز الشعراء أن حماية العرب للجارة لم تكن مقتصرة على جارة بعينها، وإنما هي شاملة لكل جارة ينطبق عليها وصف الجوار.

١٢- ورد أسلوب القصر كثيرا في أحاديث الشعراء عن الجارة؛ لإبراز أن هذه المعاني التي تشتمل عليها أشعارهم مخصوصة بالجارة لا تتعداها لغيرها من بقية النساء؛ مما يؤكد قوة حمايتهم لها، وإنزالها منزلة ليست لغيرها.

والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

قائمة المصادر والمراجع

١) الأعلام للزركلي (٤/ ٢١٧)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.
٢) أمالي ابن الشجري، ت/د/ محمود محمد الطناحي، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة،ط١،١٤١٣ هـ /١٩٩١ م.
٣) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، ت/ د/ محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل، بيروت، ط٣.
٤) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، ت/ مجموعة من المحققين، نشر/ دار الهداية.
٥) تاريخ التراث العربي للدكتور/ فؤاد سزكين، نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: د/ عرفة مصطفى ، د/ سعيد عبد الرحيم، نشر/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٦) تاريخ دمشق لابن عساكر، ت/ عمرو بن غرامة العمروي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٧) تفسير أبي السعود، نشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٨) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، د/ عبد العظيم المطعني، نشر/ مكتبة وهبة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٩) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، نشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
١٠) الجارة في الشعر العربي القديم" للدكتور/ مرزوق بن صنيتان بن تنباك، بحث منشور في مجلة كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المجلد الثالث/ العدد الثاني، عام ١٩٩١م.
١١) الحماسة المغربية لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي ، ت/ محمد رضوان الداية، نشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، ط١، ١٩٩١م.
١٢) الحيوان للجاحظ، (٢/ ٤٠٦)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤٢٤ هـ.

١٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، ت/ عبد السلام محمد هارون، نشر/ مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
١٤) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٧.
١٥) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق د/ محمد حسين، نشر مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية.
١٦) ديوان أوس بن حُجْر، ت/ محمد يوسف نجم، نشر/ دار صادر- بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
١٧) ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق/ السيد بدر الدين العلوي، نشر/ دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٩٨١م.
١٨) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، ت/ د. نعمان محمد أمين طه، نشر/ دار المعارف، القاهرة - مصر، ط٣.
١٩) ديوان حاتم الطائي ، شرح/ يحيى بن مدرك الطائي، تقديم/ د/ حنا نصر الجتي، نشر/ دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٢٠) ديوان الحطيئة، شرح ابن السكيت، دراسة وتبويب د/ مفيد محمد قمحة، نشر/ دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٢١) ديوان الخنساء، شرح/ حمدُو طمَّاس، نشر/ دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٢٢) ديوان طفيل الغنوي بشرح الأصمعي، ت/ حسان فلاح أوغلي، نشر/ دار صادر - بيروت،ط١، ١٩٩٧م.
٢٣) ديوان عدي بن زيد العبادي، ت/ محمد جبار المعيبد، نشر/ دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٥م.
٢٤) ديوان عنترة بن شداد، ت/ محمد سعيد مولوي، نشر/ المكتب الثقافي، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٥) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر- بيروت.

٢٦) ديوان مسكين الدارمي، ت/ كارين صادر، دار صادر-بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٧) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري الأندلسي، ت/ عبد العزيز الميمني، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٢٨) شرح حماسة أبي تمام للفارسي، ت/ د. محمد عثمان علي، نشر/ دار الأوزاعي،بيروت،ط١.
٢٩) شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ت/ محمد إبراهيم حور – وليد محمود خالص، نشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط٢، ١٩٩٨م.
٣٠) شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق د/ إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس- بغداد، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
٣١) شعر هدبة بن الخشرم العذري للدكتور/ يحيى الجبوري، نشر/ دار القلم- الكويت، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٣٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، ت/ أحمد عبد الغفور عطار، نشر/ دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٣٣) صحيح البخاري، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر/ دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٤) صحيح مسلم، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٥) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، ت/محمود محمد شاكر،نشر/ دار المدني – جدة.
٣٦) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، نشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
٣٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق، ت/محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر/ دار الجيل،ط٥، ١٤٠١ هـ /١٩٨١ م.

٣٨) العين للخليل بن أحمد، ، ت/ د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، نشر/ دار ومكتبة الهلال.
٣٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ترقيم/ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر/ دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ هـ.
٤٠) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ت/ محمد إبراهيم سليم، نشر/ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
٤١) القاموس المحيط للفيروزآبادى، ت/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، نشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٤٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٤٣) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي، نشر/ دار المنهاج – دار طوق النجاة، ط١ ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
٤٤) لباب الآداب للثعالبي، ت/ أحمد حسن لبج، نشر/ دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٤٥) لسان العرب لابن منظور، نشر/ دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٤٦) مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، ت/ محمد محيى الدين عبد الحميد، نشر/ دار المعرفة - بيروت، لبنان.
٤٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، نشر/ المكتبة العلمية – بيروت.
٤٨) معجم الشعراء العرب، موقع الموسوعة الشعرية.
٤٩) المعجم الكبير للطبراني، ت/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر/ مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢.
٥٠) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ت/ عبد السلام محمد هارون، نشر/ دار

الفكر، عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٥١) المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي السامري، انتقاء/ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني، ت/ محمد مطيع الحافظ، وغزوة بدير، نشر/ دار الفكر - دمشق سورية، ١٤٠٦ هـ.

٥٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لشهاب الدين التلمساني، ت/ إحسان عباس، نشر/دار صادر- بيروت - لبنان، ط١، ١٩٦٨م.

٥٣) الوافي بالوفيات للصفدي، ت/ أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر/ دار إحياء التراث - بيروت ،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الملخص	٤٦٨٥
المقدمة	٤٦٨٧
التمهيد: وجاء حول معنى الجوار ومكانة الجارة.	٤٦٩٠
المبحث الأول: بلاغة الشعراء في إبراز دوافع حمايتهم للجارة.	٤٦٩٥
المبحث الثاني: بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق الفخر.	٤٧١٠
المبحث الثالث: بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق المدح والرثاء.	٤٧٢٦
المطلب الأول: بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق المدح.	٤٧٢٧
المطلب الثاني: بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق الرثاء.	٤٧٣٥
المبحث الرابع: بلاغة الشعراء في الحديث عن الجارة في سياق الهجاء.	٤٧٤٢
الخاتمة.	٤٧٥٤
قائمة المصادر والمراجع	٤٧٥٦
فهرس الموضوعات	٤٧٦١